التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ● العدد ٤٦٦ السنة الخامسة والأربعون - جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـ ● الثمن ٢ جنيهات



غزوة مؤتة



ظهور الفاحشة .. الأسباب والعلاج

أسباب ثبات القلوب



طرق علاج الانفعال الزائد



منهج الاقتصاد الإسلامي في علاج المشكلات الاقتصادية المعاصرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

السلام عليكم

أبواب الخير

جَاءَ رجلٌ إلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ- يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ- شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يُثْبِتَهَا لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامُ، وَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ لَيُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ» رواه الطبراني. (السلسلة الصحيحة: ٩٠٦).

فلنسارع جميعًا؛ فإن أبواب الخير واسعة، والمحروم مَن حُرِمَ هذه الأجور مع كثرة طرقها وسهولة عملها، وإنَّ نفع المسلمين والإحسان إليهم من الأعمال الصالحة التي تدل على سلامة القلب ورقة الطبع، فأحْسِنْ إلى الناس تجدْ أثرَ ذلك بركات ورضا وسعادة؛ فالجزاء من جنس العمل.

التحرير

إدارة التحرير || ٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
المركز العام || WWW.ANSARALSONNA.COM
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
البريد الإلكتروني || MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير || GSHATEM@HOTMAIL.COM
قسم التوزيع والاشتراكات || ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ || ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

مطابع الأهرام التجارية ACP

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط



سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

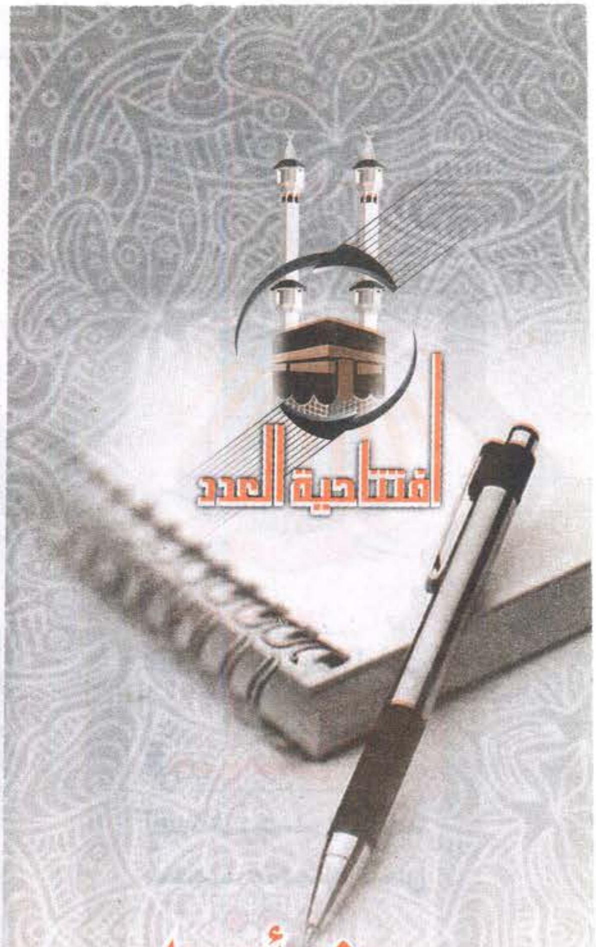
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو.

في هذا العدد

مطابع الأهرام التجارية
قليوب - مصر



من أسباب إنزال العذاب

الحلقة الرابعة

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله الواحد الأحد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، والصلاة والسلام على من بعثه ربه هاديًا وبشيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.. وبعد:

فقد تحدثت في ثلاثة لقاءات سابقة عن أسباب الغضب الإلهي، وإنزال العذاب من لدن رب العباد، وفي هذا اللقاء أجمل القول في هذا الموضوع، فأقول وبالله التوفيق:

٧- البطر:

مصدر مأخوذ من مادة «بطر». قال ابن منظور: البطر: الطغيان عن النعمة وطول الغنى، وفي الحديث: الكبر: بطر الحق، هو أن يجعل ما جعله الله حقًّا من توحيده وعبادته باطلاً، وقيل: هو أن يتحير في الحق فلا يراه حقًّا». (لسان العرب: ٦٩/٤).

وعليه فالبطر هو كفر النعمة، وكفرها إمَّا يكون بجحد المنعم، أو بعدم شكره واستخدامها في غير ما خُلقت لأجله والبطر عاقبته وخيمة، وهو من أسباب الهلاك والدمار وزوال النعمة، كما قال الله تعالى: « وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ » (القصص:٥٨)، قال ابن كثير: «يقول تعالى مُعرِّضًا بأهل مكة في قوله تعالى: « وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا » (القصص:٥٨) أي: طغت وأَشِرَتْ وكفرت نعمة الله، فيما أنعم به عليهم من الأرزاق، كما قال في الآية الأخرى: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ » (النحل:١١٢). (تفسير ابن كثير ٥٣٧/٣).

والاستثناء الوارد في قوله تعالى: «فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ » (القصص:٥٨) يحتمل وجوهًا- منها ما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لم يسكنها إلا المسافر وما زال الطريق يومًا أو ساعة». وقيل: يحتمل أن شؤم معاصي المهلكين بقي أثره في ديارهم، فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين لها بعد هلاك أهلها. (انظر: مفاتيح الغيب ٣٠٤/١٢).

وقد ذكر الله قصة سبأ في كتابه للاعتبار بحال الأمم التي لم تقابل نعم الله بشكره، فأهلكها وبدَّل

حالها، قال تعالى: «لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ» (سبأ:١٥-١٧)، فهؤلاء القوم قد يسَّر الله لهم أسباب الرزق بهاتين الجنتين، وتفضل عليهم بألوان من النعم، منها: الأمن والبلدة الطيبة، ولم يطلب منهم شيئًا كثيرًا، بل أمروا بالأكل من رزق الله وعبادته وحده دون سواه، ليقع منهم الشكر له سبحانه- جل في علاه-، ولما أعرضوا وتنكروا للمنعم كان من شأنهم ما ذكره الله عنهم.

قال السعدي: «فأعرضوا عن المنعم وعن عبادته، وبطروا النعمة وملوها، حتى إنهم طلبوا وتمنوا أن تتباعد أسفارهم بين تلك القرى التي كان السير فيها متيسرًا، وظلموا أنفسهم بكفرهم بالله وبنعمته، فعاقبهم الله تعالى بهذه النعمة التي أطغتهم، فأبارها عليهم، فأرسل عليهم سيل العرم، أي: السيل المتوعر الذي خرَّب سدَّهم، وأتلف جناتهم، وخرب بساتينهم، فتبدلت تلك الجنات ذات الحدائق المعجبة، والأشجار المثمرة، وصار بدلها أشجارًا لا نفع فيها». (تيسير الكريم الرحمن ٦/٢٧٠).

وقد نهى الله المؤمنين عن التشبه بالمشركين في البطر والرياء، فقال تعالى: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ» (الأنفال:٤٧)، وهذه الآية تصور ما كان عليه المشركون في غزوة بدر من المفاخرة والاستعلاء على المؤمنين، فكانت نهايتهم الهلاك، وقد ساق ابن حجر بسنده إلى عروة أنه قال: لما نجا أبو سفيان بعيره أرسل إلى المشركين أن ارجعوا، فقالوا: والله لا نرجع حتى ننزل بدرًا فنقيم فيه ثلاث ليال ويرانا من غشينا من أهل الحجاز، ففتح الله على رسوله، وأخزى أئمة الكفر، وشفى صدور المؤمنين منهم». (تفسير الطبري ١٠/١٢).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم من أبعد الناس من البطر، كما في حديث أبي عبد الرحمن الفهري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال: «أسْرج لي الفرس، فأخرج سَرجًا دفتاه من ليف ليس فيه أشر ولا بطر». (انظر: صحيح أبي داود ٣/٩٨٣).

وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم وعيد شديد لمن جرَّ إزاره بطرًا، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ إزاره بطرًا». (البخاري: ٥٧٨٨).

٨- الاستكبار:

الكبر والكبرياء: العظمة والتجبر، والاستكبار: الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبرًا. (انظر: لسان العرب ٥/١٢٦- ١٢٩).

وقال الكفوي: «التكبر: هو أن يرى المرء نفسه أكبر من غيره، والاستكبار: طلب ذلك التشبع، وهو التزين بأكثر مما عنده». (الكليات: ص٢٨).

والكبر آفة عظيمة ويقع فيه كثير من الناس، وهو من الكبائر. قال القاسمي رحمه الله: «واعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر، فالباطن هو خلق في النفس، والظاهر: هو أعمال تصدر من الجوارح، وتلك الأعمال أكثر من أن تُحصى وآفته عظيمة وغائلته هائلة.. ومنشؤه استحقار الغير وازدراؤه واستصغاره، ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآفتين بقوله: «الكبر بطر الحق وغمط الخلق»، أي: ازدراؤهم واحتقارهم وهم عباد الله أمثاله أو خير منه». (موعظة المؤمنين ص٢٨٣).

والكبر كان سبب شقاء إبليس ولعنه وطرده من رحمة الله تعالى، كما قال سبحانه: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» (البقرة:٣٤)، والآية أفادت أن الله أكرم آدم وأمر الملائكة بالسجود

له فاستجابت لذلك، وحسده عدو الله إبليس على هذه الكرامة فأبى واستكبر، فلعنه الله وطرده ووسمه بالكفر، وقد تعرَّض القاسمي رحمه الله لمعنى السجود الوارد في الآية، وذكر أقوالاً منها: أنه تكريم لآدم، ولم يكن عبادة لآدم، ثم نقل عن بعض أهل العلم أنهم قالوا: السجود كان لآدم بأمر الله وفرضه، وعلى هذا إجماع كل من يسمع قوله، فإن الله تعالى قال: «اسجدوا لآدم»، ولم يقل: إلى آدم، فسجود الملائكة لآدم عبادة لله وطاعة وقربة يتقربون بها إليه، وهو لآدم تشريف وتعظيم وتكريم، وسجود إخوة يوسف له تحية وسلام. (انظر: تفسير القاسمي ١٠١/٢، ١٠٢).

وقد أثنى الله في كتابه على الملائكة باستجابتهم وطاعتهم لله وعدم استكبارهم فقال: « إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ » (الأعراف:٢٠٦)، كما أخبر عنهم بحسن الطاعة ولزوم العبادة، فقال تعالى: « وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ » (الأنبياء: ١٩- ٢٠)، قال ابن كثير: «يعني الملائكة» لا يستكبرون عن عبادته» أي: لا يستنكفون عنها، وقوله: «ولا يستحسرون» أي: لا يتعبون ولا يملون، «يسبحون الليل والنهار لا يفترون»، فهم دائبون في العمل ليلاً ونهارًا، مطيعون قصدًا وعملاً، قادرون عليه». (تفسير ابن كثير ٢٤٣/٣).

والكبر سبب من أسباب الكفر بالحق وعدم قبوله كما وقع من اليهود، قال الله فيهم: « أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ » (البقرة:٨٧)، وهذه الآية تبين حقيقة اليهود، وتذمهم في مواجهتهم للأنبياء والمرسلين بالتكذيب والقتل اتباعًا لهوى النفس واستكبارًا في الأرض، قال الطبري رحمه الله: «قال أبو جعفر: «يقول الله جل ثناؤه لهم: يا معشر يهود بني إسرائيل، لقد آتينا موسى التوراة، وتابعنا من بعده بالرسل إليكم، وآتينا عيسى ابن مريم البينات والحجج، إذ بعثناه إليكم، وقويناه بروح القدس، وأنتم كلما جاءكم رسول من رسلي بغير الذي تهواه نفوسكم استكبرتم عليهم- تجبُّرًا وبغيًا- استكبار إمامكم إبليس، فكذبتم بعضا منهم. وقتلتم بعضا. فهذا فعلكم أبدا برسلي». (تفسير الطبري ٣٢١/١).

والمستكبرون هم أعداء الرسل في كل ملة، ومن يتتبع آيات القرآن يجد ذلك في غاية الوضوح اقرأ مثلاً قول الله تعالى عن قوم صالح: « قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ » (الأعراف:٧٥، ٧٦)، والله تبارك وتعالى عقوبة منه للمتكبرين يصرف قلوبهم وعقولهم عن الحق، فلا يجد الخير طريقًا إليهم، كما جاء في القرآن الكريم: « سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ » (الأعراف:١٤٦)، ومآل هؤلاء المستكبرين النار، أعاذنا الله وإياكم منها، قال الله تعالى: « وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ » (الأحقاف:٢٠).

وأختم هنا بهذا الحديث المبارك الذي يبين فيه النبي صلى الله عليه وسلم صفات أهل الجنة وصفات أهل النار، كما في حديث حارثة ابن وهب أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ قالوا: بلى. قال: كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره. ثم قال: ألا أخبركم بأهل النار؟ قالوا: بلى. قال: كل عتل جواظ مستكبر». (البخاري ٦٠٧١، ومسلم: ٢٨٥٣).

والعتل: هو الجافي الشديد الخصومة، والجواظ الجموع المنوع.

أسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهل جنته، وأن يصرف عنا عذابه، والحمد لله رب العالمين.



أسباب ثبات القلوب

إعداد
الشيخ د. صالح بن عبد الله بن حميد
خطيب وإمام المسجد الحرام

الحمد لله، الحمد لله خلق الخلائق وقدَّر لها أقواتها وكفاها، سبحانه وبحمده، أجزل عطاياه لعباده فنعَمُه لا تتناهى، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةَ مَنْ عرَف معناها، وعمل بمقتضاها، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبد الله ورسوله، أقام أركان الملة، وأعلى ذراها، صلى الله عليه وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه أزكى الأمة، وأبرها وأتقاها، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد: فأوصيكم-أيها الناس- ونفسي بتقوى الله، أوصيكم بتقوى الله وحُسن الخلق، فاتقوا الله- رحمكم الله-، فكل ابن آدم خطاء فاستتروا ولا تُجاهرُوا، واستغفروه ولا تصروا، وإذا أسأتم فأحسنوا، السعيد من اعتبر بأمسه، ونظر لنفسه، والمحروم مَنْ جمَع لغيره وبخل على نفسه، والحازم من لم يؤجل عمل يومه لغده، واعلم يا عبد الله أن غنى غيرك لا ينقص من رزقك، وسعادته لا تؤخذ من سعادتك، فكنْ حَسَنَ الخلق طيِّبَ القلب، تحبك القلوب، والزم الشكر والصبر والاستغفار، (خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ) (الأعراف: ١٩٩).

أيها المسلمون: ما سُمِّيَ القلبُ قلبًا إلا لتقلبه وتردده تقلبه الظروف والمؤثرات، وتتجاذبه عوامل الخير وعوامل الشر بين لمة الملك، ولمة الشيطان، بين تثبيت الملائكة واجتيال الشياطين، وفي التنزيل العزيز: (وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ) (الأنعام: ١١٠)، وقد بيَّن لنا نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم- عجيب صنع الله في أحوال هذا القلب، حينما أتى-عليه الصلاة والسلام- بهذه الصيغة وهو يُقسم: "لا ومُقلِّبَ القلوب" (رواه البخاري). وفي قوله-عليه الصلاة والسلام- كثيرا: "يا مُقلِّبَ القلوب ثبِّتْ قلبي على دينك" قالوا: أوتخاف يا رسول الله؟ قال: "وَمَا يُؤْمِّنُني وَالْقَلْبُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَن، يُقَلِّبُهُ كَيْفَ يَشَاءُ" وفي لفظ آخر: "إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ" (رواه أحمد، والترمذي) وإسناده صحيح.

عبادَ الله: ولئن كان القلب محل التقلب فهو محل الثبات؛ ولهذا كان نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم- كثيرا ما يقول: "يا مُقلِّبَ القُلوب ثَبِّتْ قَلْبِي عَلى دِينِكَ" (أخرجه ابن ماجه والترمذي)، وحسنه من حديث أنس- رضي الله عنه-، وما منح العبد منحة أفضل من منحة الثبات في القول والعمل، يجد ثمرة ذلك في حياته كلها، وأعظم ما يجده حينما يكون في قبره، (يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ) (إبراهيم: ٢٧)، والثبات-حفظكم الله- هو دوام استقامة المسلم على الحق والهدى، أمام مثيرات الفتن ودواعي الهوى وبواعث الشهوات، وقد قال أهل العلم: "إن من علامات توفيق العبد وثباته أنه كلما زاد علمه زاد تواضعه وازدادت رحمته بالناس، وكلما زاد عمله زاد خوفه وحذره، وكلما زاد ماله زاد سخاؤه وكرمه وإنفاقه، وإذا امتد به العمر قل به الحرص وضعف تعلقه بأهل الدنيا وتتبع أخبارهم".

عباد الله: ولا يظهر الثبات على وجهه إلا حينما يرى العبد شحًا مطاعًا وهوى متبعًا وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وقد قال بعض السلف: "من علامات الثبات: الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والتأهب للموت قبل الورود".

معاشر المسلمين: وإذا كان ذلك كذلك فقد ذكر أهل العلم جملة من الوسائل والأسباب التي تعين على الثبات في مواقف الفتن والمتغيرات:

وأول الأسباب وأهمها: تحقيق التوحيد قولاً وعملاً واعتقادا، وتحقيق العبودية التامة لله وحده ومعرفة الله حق المعرفة؛ فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، قال عز شأنه: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (فاطر: ٢٨)، ويتجلى ذلك بالإيمان بأقدار الله، وتفويض الأمور إليه، وحسن التوكل عليه، عجبًا لأمر المؤمن وإن أمره كله خير؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، ولا يكون ذلك إلا لمؤمن، فيكون العبد ملازمًا لمقام خوفه، مشفقًا من سلب التوفيق، وقد أمر المؤمن بالإيمان وما ذلك إلا للثبات والاستمرار فقال عز شأنه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا) (النساء: ١٣٦)، وقال عز شأنه: (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) (المدثر: ٣١)، ويقول طلق بن حبيب: اتقوا الفتن بالتقوى.

ومن أسباب الثبات عباد الله: لزوم الطاعات والعمل الصالح، والاستقامة على الخير حسب الطاقة والاستطاعة ولزوم الجادة وحب الخير وبذله للناس واحتساب الخير والأجر عند الله، وصاحب الطاعات والأعمال الصالحة لا يخزيه الله أبدًا.

ومن أسباب الثبات: ملازمة العلماء والرجوع إليهم، يقول عز شأنه: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (النحل: ٤٣)، وقال جل وعلا: (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) (النساء: ٨٣)، فملازمة العلماء عصمة من الضلال والانحراف، يقول الحسن البصري-رحمه الله-: "الدنيا كلها ظلمة إلا مجالس العلماء". والصدور عن توجيهات أهل العلم من أعظم السبل للوقاية من الفتن، والعصمة من الانحراف، والاستقامة على الثبات.

ومن الأسباب: مصاحبة الصالحين والأخيار؛ فالمؤمن مرآة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن يكُفُّ عليه ضيعته؛ أي: يمنع خسارته ويحوطه من روائه؛ أي: يحفظه ويصونه ويدافع عنه ويثبِّته، يقول عز شأنه: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) (الكهف: ٢٨).

ومن أعظم الأسباب: الدعاء والتضرع والانطراح بين يدي الله الرب الرحيم مقلب القلوب والاشتغال بذكر الله ومناجاته وحُسن التعلق به، وقد افترض الله على عباده أن يسألوه الهداية في كل ركعة من صلاتهم في قوله عز شأنه: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة: ٦)، قال الحافظ ابن كثير-رحمه الله-: "ولولا احتياج العبد ليلًا ونهارًا إلى سؤال الهداية لما أرشده الله إلى ذلك؛ فإن العبد مفتقر كل ساعة وحال إلى الله-تعالى- في تثبيته على الهداية ورسوخه عليها وتبصره بها، وازدياده منها واستمراره عليها؛ فإن العبد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله".



ومن الأسباب: ملازمة كتاب الله-عز وجل-، قال عز شأنه: (كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) (الفرقان: ٣٢)، وقال عز شأنه: (قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ) (الأنعام: ١٠٤)، فتأمل-حفظك الله- العلاقة بين كتاب الله والبصيرة؛ (قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ)؛ وإذا رُزق العبدُ البصيرة فرَّق بين الحق والباطل، والمصلحة والمفسدة والسنة والبدعة، والمؤمن في زمن المتغيرات والفتن أحوج ما يكون إلى البصيرة؛ فنورها يبدد ظلمات الفتن، يقول حذيفة-رضي الله عنه-: "لا تضرك الفتنة ما عرفت دينَك، إنما الفتن إذا اشتبه عليك الحق بالباطل".

ومن أسباب الثبات: العمل بالعلم وبما تعرفه من الأحكام والسنن والآداب، يقول عز شأنه: (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) (النساء: ٦٦-٦٨)، ومن عمل بما علم رزقه الله علم ما لم يعلم، ومن ثمرات ذلك كله التقوى؛ قال عز شأنه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) (الأنفال: ٢٩).

ومن أعظم الأسباب: حَبْس اللسان عن التشكي والصبر وضبط النفس، والتحكم في نزغاتها من العجلة والطيش والغضب والطمع وضبط الملل والسآمة وبخاصة إذا برزت مثيرات الفتن، وهذا كله يورث هداية القلب ومحبة الله ومحبة الناس.

ومما يجمع ذلك كله: حسن ظن العبد بربه، وتمام التعلق به، فليس من شأن المؤمن اليأس والقنوت بل تراه دائما خائفا راجيا، ولا يكون حسن الظن على وجهه إلا مع إحسان العمل، والإقبال على الله ودوام الطاعة والعمل الصالح، يقول ابن مسعود-رضي الله عنه-: "والذي لا إله غيره ما أعطي عبد مؤمن شيئا خيرا من حُسن الظن بالله-عز وجل-، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله-عز وجل- الظنَّ إلا أعطاه الله ظنَّه ذلك؛ بأنه الخير بيده".

والمؤمن حين يُحسن الظن بربه لا يزال قلبه مطمئنا ونفسه آمنة، تغمره السعادة والرضا بقضاء الله وقدره وخضوعه لربه.

والمسلم حين يحسن الظن بالله تراه كلما رأى المتغيرات ازداد نشاطا في بيان الحق والدعوة إليه، ونشر الفضائل ومحاربة الرذائل؛ فيكون من الصالحين عند فساد الناس والمصلحين لما أفسد الناس.

معاشر الأحبة: ومن أعظم وسائل الثبات: اليقين بأن



العاقبة للتقوى وأن وعد الله حق؛ فيصبر المؤمن على ما يقولون ويصبر لحكم ربه ويعلم أن دين الله محفوظ وجند الله منصورون، قال عز شأنه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ (الصَّف: ٩)، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "كما أن الله نهى نبيه أن يصيبه حزن أو ضيق ممن لم يدخل في الإسلام في أول الأمر فكذلك المؤمن منهي أن يحزن عليهم أو يكون في ضيق من مكرهم".

وكثير من الناس إذا رأى التغير في بعض أحوال أهل الإسلام جَزِعَ وكَلَّ وناح كما ينوح أهل المصائب، وهو منهي عن هذا بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الإسلام، وأن يؤمن بأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأن ما يصيبه فهو بذنوبه أو بتقصير منه، وأن وعد الله حق، وليستغفر لذنبه وليسبِّح بحمد ربه بالعشي والإبكار، وقد قال بعض الصالحين: "لا تخوِّفوا الناس من الفقر فهذا عمل الشيطان، فلا تكونوا من جنوده وأنتم لا تشعرون، قال عز شانه: ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ (البَقَرَة: ٢٦٨)، واعلم بأن الذي فتح فاك لن ينساك، وما أغلق الله على عبد بابا بحكمته إلا فتح له بابا برحمته.

وبعد عباد الله: فمن توفيق الباري-سبحانه وتعالى- لعبده أن ييسر له الأخذ بالأسباب التي بعونه-سبحانه- تعينه على الثبات عند حلول الفتن وكثرة البلايا، فما كتب للعبد سيكون ولو لم يُرِدْهُ، وما ليس له فلن يصل إليه مهما بذل واجتهد، ومن أصبح وأمسى ليس له هم إلا ربه ومولاه تحمَّل الله عنه حوائجه كلها، وحمل عنه ما أهمَّه وفرَّغ قلبه لمحبته، والحي لا تؤمن عليه الفتنة، والله يحول بين المرء وقلبه، وأهل الثبات هم أهل الرحمة في قوله عز شأنه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ (هُود: ١١٨-١١٩).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ (إبْرَاهِيمَ: ٢٧).

معاشر المسلمين: ومن أعظم أسباب الثبات: الرضا عن الله، وهو قرين حسن الظن بالله وقد وصف الله به عباده الصالحين في أربعة مواضع من كتابه، وفي كل منها يقول سبحانه: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ (المَائدَة: ١١٩)، ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ (التَّوبَة: ١٠٠)، ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ (المُجَادَلَة: ٢٢)، ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ (البَيِّنَة: ٨).

وانظر يا عبد الله: هل أنت راض عن ربك؟ الرضا عن الله-حفظك الله- هو التسليم بكل ما قسم الله لك؛ فتؤمن يقينا أن ربك ما أراد بك في جميع أحوالك وابتلائك إلا خيرا، وإذا رضيتَ عن ربك قلّت منك الشكوى للمخلوقين، والتسخُّط على الأوضاع، ترضى عن ربك إذا أعطاك وإذا منعك، وترضى في حال الصحة كما ترضى في حال المرض، والرضا-رعاكم الله- لا يتعارض مع فعل الأسباب لحل المشكلات وعلاج الأوضاع، كما لا يتعارض مع الألم الذي تشعر به والحزن الفطري؛ ومن ثم تسعى في علاجه وتخفيفه، وانظر إلى حال عبد لم يرض؛ فهو لو ملك الدنيا كلها فلن يرضى، وفي الحديث: "من رضي فله الرضا، ومن سخط فعليه السخط"، واعلم أن الرضا عن الله من أعظم السبل لرضا عنك.

رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد-صلى الله عليه وسلم- نبيا ورسولا.

اللهم ارزقنا حسن الظن بك وصدْق التوكل عليك، وجميل الإنابة إليك حتى نكون بما عندك أوثق مما في أيدينا.

ألا فاتقوا الله-رحمكم الله- واعلموا أن مع كل هذا وذاك فكم لربنا المحسن الكريم الوهاب المنعم من أفضال خفية، وحكم غير مرئية؛ فهو الذي يقلب الكدر صفوا، ويحول الكربات مكرمات وكرامات، والعمل مع الأمل يقتضي السعي بهمة في يقين وثبات، والفرج قريب، والعوض كثير، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وهو غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

هذا وصلوا وسلموا على الرحمة المهداة والنعمة المسداة نبيكم محمد رسول الله؛ فقد أمركم بذلكم ربكم في محكم تنزيله فقال وهو الصادق في قيله قولا كريما: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ (الأَحْزَاب: ٥٦).

اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد الحبيب المصطفى والنبي المجتبى وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وجودك وإحسانك وإكرامك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وخذ الطغاة والملاحدة وسائر أعداء الملة والدين، اللهم أمنا في أوطاننا، اللهم أمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل اللهم ولايتنا فيمن خافك واتقاك،

واتبع رضاك يا رب العالمين.

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

باب التفسير

الحلقة السادسة

إعداد د. عبدالعظيم بدوي

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٩ ۞ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ۝١٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝١١﴾ (محمد: ٧- ١١).

أسباب النصر:

قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم»:

يقول تعالى: يا من رضيتم بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولاً، يا من صدقتم بالله ورسوله، والكتاب الذي نزل على رسوله، والكتاب الذي أنزل من قبل. «إن تنصروا الله» بنصرة دينه، ونصرة كتابه، ونصرة نبيه صلى الله عليه وسلم، ونصرة شريعته، ونصرة سنته، «ينصركم» الله على عدوكم «ويثبت أقدامكم» عند اللقاء، ويربط على قلوبكم، فلا تجبنوا عن اللقاء، ولا تفروا إذا لقيتموهم، ويثبتكم بعد ذلك على أداء تكاليف النصر، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ (الحج: ٤٠، ٤١).

ولقد قررت هذه الآية الكريمة قاعدة الجزاء المشهورة وهي: الجزاء من جنس العمل، وهي قاعدة أكدها الكتاب والسنة:

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ (البقرة: ٤٠)، وقال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ (البقرة: ١٥٢)، وقال تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ (الرحمن: ٦٠).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». (صحيح البخاري ٧٤٠٥).

وزيادة في تقوية قلوب المؤمنين أعلمهم الله تعالى ما هو فاعل بأعدائهم الكافرين فقال تعالى: «والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم»:

التعس: الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط. (إرشاد العقل السليم (٦/٨٥)). وهي كلها ضد ما وعد الله به المؤمنين بقوله: «ويثبت أقدامكم».

وقوله تعالى: «وأضل أعمالهم» أي أبطلها وأحبطها، كما سبق بيانه في أول آية. والعلة فيما فعله بهم من التعاسة والإضلال بينها في قوله سبحانه: «ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم»، وقد

سبق بيانها أيضا في أول آية.

وجوب الاعتبار بوحدة مصير المكذبين:

قال تعالى: «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا».

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَفَلَمْ يَسِرْ هَـؤُلاءِ الْمُكَذِّبُونَ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم، الْمُنْكِرُونَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ، فِي الأَرْضِ سَفَرًا، وَإِنَّمَا هَذَا تَوْبِيخٌ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا يُسَافِرُونَ إِلَى الشَّامِ، فَيَرَوْنَ نِقْمَةَ اللَّهِ الَّتِي أَحَلَّهَا بِأَهْلِ حِجْرِ ثَمُودَ، وَيَرَوْنَ فِي سَفَرِهِمْ إِلَى الْيَمَنِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ بِسَبَأٍ، كما قال تعالى: « وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » (الصافات: ١٣٧، ١٣٨)، وقال تعالى: « وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا » (الفرقان: ٤٠)، ولذلك قال تعالى: « أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » (الحج: ٤٦).

فَقَالَ تعالى لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ: أَفَلَمْ يَسِرْ هَؤُلاءِ الْمُشْرِكُونَ سَفَرًا فِي الْبِلادِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ تَكْذِيبِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا، الرَّادَّةِ نَصَائِحَهَا؟ أَلَمْ نُهْلِكْهَا فَنُدَمِّرْ عَلَيْهَا مَنَازِلَهَا وَنُخَرِّبْهَا، فَيَتَّعِظُوا بِذَلِكَ، وَيَحْذَرُوا أَنْ يَفْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِهِمْ فِي تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ، فَيُنِيبُوا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ فِي تَصْدِيقِكَ؟!

ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَأَخْبَرَهُمْ إِنْ هُمْ أَقَامُوا عَلَى تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ، أَنَّهُ مُحِلٌّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ مَا أَحَلَّ بِالَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الأُمَمِ، فَقَالَ: «وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا» أَيْ: وَلِلْكَافِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ الْمُكَذِّبِي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْعَذَابِ الْعَاجِلِ أَمْثَالُ عَاقِبَةِ تَكْذِيبِ الأُمَمِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم. (جامع البيان (٤٦/٢٦)) بتصرف.

ومن الثابت المعلوم أن إنجاء الرسل وأتباعهم المؤمنين كان دائما قرين إهلاك المكذبين، كما صرح ربنا سبحانه وتعالى بذلك في قوله: « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ » (الروم: ٤٧)، وقد فصَّل ربنا سبحانه وتعالى هذا في سورة هود، فقال: « وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ » (هود: ٥٨)، وقال تعالى: « فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ » (هود: ٦٦- ٦٧)، وقال تعالى: «وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ » (هود: ٩٤).

ثـم بـيَّن الله تعالى الحكمة في إنجـاء المؤمنين وإهلاك المكذبين فقال: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ»:

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ذَلِكَ الْفِعْلُ الَّذِي فَعَلْنَا بِهَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ: فَرِيقِ الإِيمَانِ، وَفَرِيقِ الْكُفْرِ، مِنْ نُصْرَتِنَا فَرِيقَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَتَثْبِيتِنَا أَقْدَامَهُمْ، وَتَدْمِيرِنَا عَلَى فَرِيقِ الْكُفْرِ «بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ» أَيْ: مِنْ أَجْلِ أَنَّ اللَّهَ وَلِيُّ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَأَطَاعَ رَسُولَهُ، وَبِأَنَّ الْكَافِرِينَ بِاللَّهِ لا وَلِيَّ لَهُمْ، وَلا نَاصِرَ.

ولذلك لما نال المشركون يوم أحد من المسلمين ما نالوا وقف أَبُو سُفْيَانَ شامتا فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُجِيبُوهُ. ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلاءِ فَقَدْ قُتِلُوا. فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوؤُكَ. قَالَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي الْقَوْمِ مُثْلَةً لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ. قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَلا تُجِيبُوا لَهُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ». قَالَ: إِنَّ لَنَا الْعُزَّى وَلا عُزَّى لَكُمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَلا تُجِيبُوا لَهُ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُ مَوْلانَا وَلا مَوْلَى لَكُمْ». (صحيح البخاري ٣٠٣٩).

فَـإِنْ قِيلَ كَيْفَ الْجَمْعُ بَـيْنَ قَـوْلِـهِ تَعَالَى: «وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ»، وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: «ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ» (الأنعام: ٦٢)؟

نَقُولُ: الْمَوْلَى وَرَدَ بِمَعْنَى: السَّيِّدِ، وَالرَّبِّ، وَالنَّاصِرِ. فَحَيْثُ قَالَ: «لا مَوْلَى لَهُمْ» أَرَادَ لا نَاصِرَ لَهُمْ، وَحَيْثُ قَالَ: «مَوْلاهُمُ الْحَقِّ» أَيْ رَبُّهُمْ وَمَالِكُهُمْ. (التفسير الكبير: ٥٠/٢٨).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



منهج الاقتصاد الإسلامي في علاج المشكلات الاقتصادية المعاصرة

إعداد د. حسين حسين شحاتة
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

يعاني العالم ولاسيما الدول النامية أو ما تسمى بدول العالم الثالث العديد من المشكلات الاقتصادية، والناجمة عن المشكلة الاقتصادية الرئيسة والتي تتلخص في محدودية الموارد والوسائل، وغير محدودية الغايات والحاجات، ومن بين هذه المشكلات: مشكلة التنمية بهدف زيادة الموارد، ومشكلة الفقر، ومشكلة البطالة، ومشكلة العمال، ومشكلة الغلاء، ومشكلة التضخم، ومشكلة التسعير، ومشكلة الخصخصة، ومشكلة المديونية، ونحو ذلك.

ويرى فقهاء الاقتصاد الإسلامي أن هذه المشكلات ناجمة بسبب تطبيق مفاهيم وأسس وضعية والتركيز على الجوانب المادية، وإهمال الجوانب الروحية، وللإسلام نظرته المتميزة في علاج هذه المشكلات، وهذا ما سوف نتناوله بشيء من الايجاز في هذا المقال، مع التركيز على ثلاثة محاور في كل مشكلة وهي:

- تحليل طبيعة المشكلة.
- استقراء أسباب المشكلة.
- منهج الاقتصاد الإسلامي في علاج المشكلة.

أولاً: منهج الاقتصاد الإسلامي في علاج مشكلة التنمية

تتمثل محاور منهج الاقتصادي الإسلامي في التنمية في الآتي:

- الاهتمام بالتكوين الشخصي والتأهيل العلمي والعملي للإنسان العامل المنتج من حيث القيم والأخلاق والسلوك والمعرفة والمهارة حتى ينتج ويبدع ويُجود، فهو أساس التنمية والنهضة، ولن يتحقق ذلك إلا إذا تم توفير الحرية والعدالة والأمن، وكذلك توفير الحاجات المعيشية الأصلية له ليحيا الحياة الكريمة الرغدة، وهذا بدوره يحتاج إلى إصلاح سياسي.

- المحافظة على الملكية الخاصة وتوفير الأمن لرأس المال حتى ينطلق ليؤدي دوره في تمويل المشروعات الاستثمارية، ومن وسائل ذلك تخفيض الضرائب والرسوم ونحوها وحمايته من الفساد بكافة صوره (الرشوة- السرقة- الابتزاز....).

- المحافظة على التوازن بين الملكية العامة والملكية الخاصة في إطار منضبط لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية فلكل منهما دور هام في تحقيق الإصلاح الاقتصادي المنشود، ولا ينبغي إهمال دور قطاع الأعمال العام في التنمية بشرط ترشيده وضبطه.

- التخطيط الاستراتيجي للمشروعات الإنتاجية والخدمية المختلفة في ضوء فقه الأولويات الإسلامية، الضروريات فالحاجيات، فلا يجوز توجيه الإمكانيات والطاقات والموارد لإنتاج الكماليات في الوقت الذي تفتقر فيه الدولة إلى الضروريات والحاجيات.

- تطوير النظم الضريبية وما في حكمها في إطار أن تؤخذ الضريبة بالحق، وتنفق حصيلتها بالحق، ولا يجوز إهدارها في الباطل،كما يجب تطبيق نظام زكاة المال ليساهم بدوره في التنمية الاجتماعية والاقتصادية وفق الضوابط الشرعية.

- ضبط أسواق المعاملات الاقتصادية والمالية بتشريع عادل سليم وفعال، والتصدي لكل صور أكل أموال الناس بالباطل، ومن أمثلة ذلك: الربا والميسر والغش والتدليس والرشوة والاحتيال، والسرقة والحرابة... وما في حكم ذلك، وهذا بدوره يتطلب تطوير نظم الرقابة على الأسواق.

- الإسراع في إصلاح وتطوير النظام النقدي بما يحافظ على قيمة النقد وحمايته من كل الأساليب التي تضعفه، ومنها السوق الخفية (السوداء) وتهريب الأموال إلى الخارج، وتداول الأموال القذرة المكتسبة بأساليب غير مشروعة.

- الإسراع في إصلاح وتطوير النظام المصرفي حتى يؤدي دوره في تحقيق التنمية من خلال تفعيل كل أساليب وأدوات الادخار، وضخ هذه الأموال إلى تمويل المشروعات بنظم المشاركة والتي ثبت نجاحها وتفوقها على نظام الفائدة، والاستفادة بصيغ وأدوات ومنتجات المصرفية الإسلامية والتي بدأت تأخذ بها معظم الدول المتقدمة غير الإسلامية.

- دعم مؤسسات المجتمع المدني وتحريرها من كافة القيود لتنطلق نحو تحقيق مقاصدها الاجتماعية والخيرية والتي لها مردود اقتصادي تنموي، ومن أهمها: مؤسسات الزكاة، مؤسسات الوقف الخيري، المؤسسات الاجتماعية الخيرية، مؤسسات التكافل الاجتماعي، النقابات، النوادي وما في حكم ذلك.

- الكشف عن مصادر ومنابع الثروة الطبيعية والمحافظة عليها، وحسن وترشيد استغلالها وحمايتها من الاستغلال الأجنبي، فمصر غنية بمواردها وخيراتها.

- إعادة النظر في سياسات وتشريعات التجارة الخارجية من منظور حماية الصناعة الوطنية، والتركيز على الضروريات منها اللازمة لتحقيق التنمية، فالوطن أولى بالرعاية والحماية.

- بذل المساعي لتقوية كافة روابط العلاقات الاقتصادية بين أقطار الأمة العربية والإسلامية، ووضع إستراتيجية للتكامل والتعاون والتي سوف تقود إلى السوق العربية والإسلامية المشتركة حتى تكون أموال الدول العربية والإسلامية لخير العرب والمسلمين.

أولويات التنمية في ضوء منهج الاقتصاد الإسلامي:

من أصعب الأمور تحديد أولويات المشكلات الاقتصادية التي يجب أن تُعطى الأولوية عند الحل والإصلاح حيث إن جميعها خطيرة ملحة وتحتاج الدخول إلى غرف العناية المركزة وإن كان هناك ضرورة للترتيب، فمن منظور الأولويات الإسلامية يجب البدء بالمشكلات التي تتعلق بحفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، ومنها على سبيل المثال ما يلي:-

(١) مشكلة التخبط في إصدار القوانين الاقتصادية وتنقيتها مما تتعارض مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية وتمس الدين ومنها على سبيل المثال قوانين الربا والكسب الحرام والقمار (المضاربات).

(٢) مشكلة الحريات الاقتصادية في إطار الضوابط الشرعية مثل حرية الإنسان كعامل ومنتج ومستهلك وصاحب عمل، وفي هذا المقام يجب إلغاء كافة القيود غير المشروعة التي تمس حريته وكرامته.

(٣) مشكلة نقص الحاجات الأصلية للإنسان ومنها: مشكلات الغذاء والشراب والمسكن والعلاج والتعليم وكل ما يدخل في نطاق حفظ النفس.

(٤) مشكلة الزواج بسبب عدم توفير مستلزماته...، وهذا بدوره يمس قضية حفظ العرض وحفظ المجتمع.

ومهما يكن من اجتهاد في ترتيب أولويات الإصلاح الاقتصادي فيجب أن نقر بأن بينها علاقات سببية ومتشابكة



وتحتاج إلى وضع العلاج من منظور تزاوج أساليب المعرفة، وعلينا أن نبدأ بإخلاص وأن نأخذ بالأسباب.

خطورة مشكلة الفقر:

يعتبر الفقر من أهم المشكلات التي تؤثر على عقيدة ومُثل وأخلاق وسلوكيات وفكر وثقافة الفرد والأسرة والمجتمع والدولة، ولقد اهتم الإسلام به اهتماماً بالغاً ووضع الضوابط التي تحجمه وتكبح طغيانه والحلول التي تعالج أسبابه، وذلك بهدف المحافظة على الأمة الإسلامية عزيزة وقوية.

ولقد منّ الله سبحانه وتعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال له: « أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ » (الضحى)، كما منّ على قريش فقال لهم: « فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ » (قريش)، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن ندعو الله فنقول: " اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر " (رواه أبو داود) ويقول أيضاً " اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة، وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم " (رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه).

أثر مشكلة الفقر على العقيدة والأخلاق:

ويربط فقهاء الإسلام بين الفقر وعقيدة الإنسان ومثله وسلوكياته، فعلى سبيل المثال يقول السلف: " إذا ذهب الفقر إلى بلد قال له الكفر خذني معك".

كما أن الفقر يهيء النفس البشرية ضعيفة الإيمان لتنحرف إلى مسالك المرتشين والمنافقين واللصوص وقرناء الشياطين والكذابين، كما أنه يولد عند بعض الناس الحقد والكراهية والبغضاء من الذين وسّع الله عليهم في الأرزاق، أي أن الفقر أحياناً يقود إلى رذائل الأخلاق ومنها على سبيل المثال: السرقة، والاغتصاب، والكذب، وهتك الأعراض، والرشوة، ونحو ذلك من أشكال الفساد الاقتصادي الأخلاقي.

أثر مشكلة الفقر على حرية الفرد.

كما أن للفقر آثاراً سيئة على سلوكيات الفرد غير المنضبط إسلامياً، مثل ارتكاب الفواحش، والتعاون مع غير الصالحين، وكثيراً ما نجد من أساليب تجنيد الجواسيس والعملاء لحساب أعداء المسلمين هو المال، كما أن من أساليب إغراء بعض النسوة الفقيرات على ارتكاب الفاحشة هو المال لمعالجة فقرهم.

ومن أخطر آثار مشكلة الفقر أنه يفقد الفرد حريته في إبداء رأيه ويعتمد أعداء الإسلام على ذلك في إذلال المسلمين عن طريق رغيف الخبز، ويعتبر سلاح الجوع والتجويع النموذج العملي الواضح حيث تستغله الدول الغنية للسيطرة على فكر وثقافة الدول الفقيرة.

ويعتبر الحصار الاقتصادي الذي فرضته قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه من السنة السابعة إلى السنة العاشرة من البعثة ليجعل هؤلاء المسلمين يرتدون عن دينهم نموذجاً فريداً لثبات المسلم على عقيدته ورأيه ضد سلاح الكفر وسلاح الفقر.

وقد جاء أن جارية الإمام أبي حنيفة قالت له يوماً في مجلسه إن الدقيق نفد، فقال لها: "قاتلك الله، لقد أضعت من رأسي أربعين مسألة من مسائل الفقه"، كما أنه قال: "لا تستشر من ليس في بيته دقيق" وكان للفقهاء من السلع صنايع، فهذا حداد، وهذا ساعاتي، وهذا نجار، وهذا خواص ليحصل من هذه الصنعة على رزق يغنيه عن الفقر حتى يكون حراً في فتواه وإبداء رأيه، وألا يكون أسيراً للمال.

ثانياً: المنهج الاقتصادي الإسلامي في علاج مشكلة الفقر:

لقد وضع الإسلام مجموعة متكاملة من الوسائل العملية الجادة لمعالجة آثار الفقر على



مستوى الفرد والأسرة والدولة منها على سبيل المثال:-

أولاً: العمل الجاد والضرب في الأرض ابتغاء الرزق الطيب الحلال، وفي هذا يقول الله عز وجل: « فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (الجمعة:١٠)، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أطيب الكسب عمل الرجل بيده، وقال: بيع مبرور ». (رواه أحمد). ويقول صلى الله عليه وسلم: « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده ». (رواه البخاري)، فالعمل في الإسلام من موجبات الحصول على الرزق الحلال الطيب ولا يجوز للفرد والدولة أن تعيش عالة حتى لا يفقدوا حريتهم وعزتهم.

ثانياً: الهجرة والضرب في الأرض ابتغاء الرزق الحلال الطيب، ولقد أمرنا الله بذلك فقال: « وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً » (النساء:١٠٠)، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سافروا تصحوا، واغزوا تستغنوا". (رواه أحمد، وصححه الألباني)، ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "ما من حال يأتيني عليها الموت بعد الجهاد في سبيل الله أحب إلي من أن يأتيني وأنا ألتمس من فضل الله"، وأساس ذلك قول الله تبارك وتعالى: « وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » (سورة المزمل:٢٠).

ثالثاً: التعاون بين الأقطار الإسلامية في الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية ولا يجوز أن يكون هناك أنانية وتسلط من دولة إسلامية غنية وتكون هناك دولاً إسلامية فقيرة، وأساس ذلك قول الله تبارك وتعالى: « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » (المائدة:٢)، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليس بمؤمن من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم " (رواه الطبراني والبيهقي وإسناده حسن)، كما يقول كذلك: " مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائل الجسد بالحمى والسهر " (متفق عليه)، ولننظر الآن ماذا يحدث لو أن الدول الغنية تعاونت مع الدول الفقيرة في كافة المجالات لعولجت مشكلة الفقر ولتحققت العزة الإسلامية.

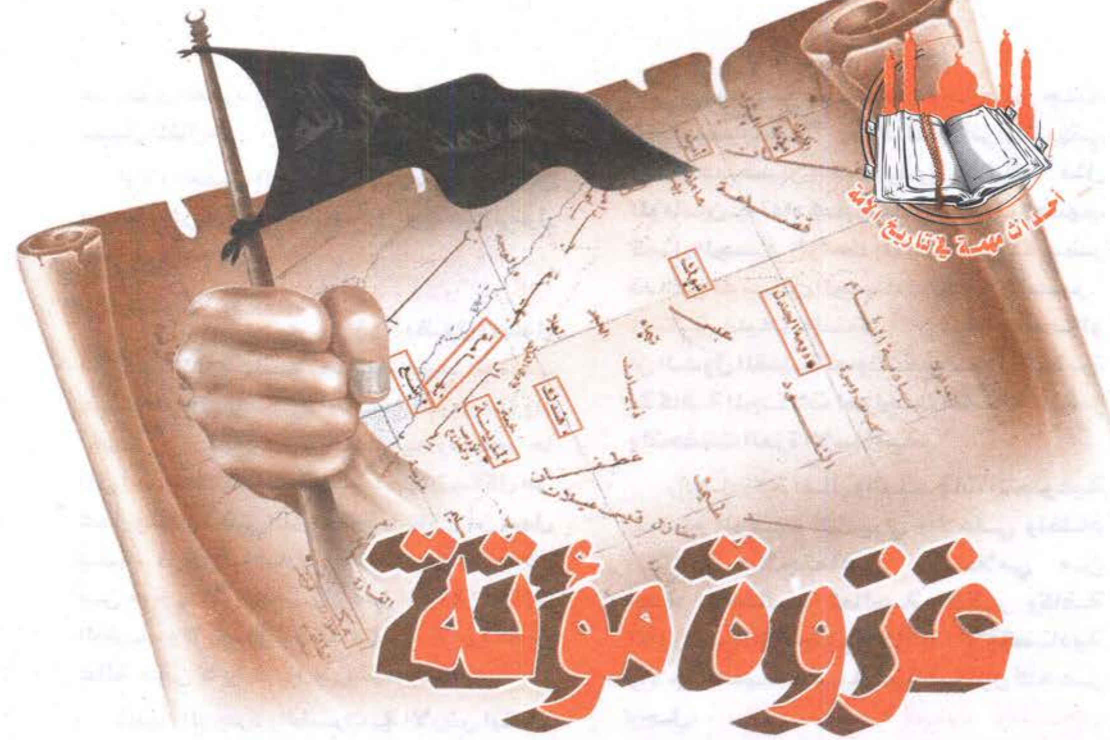
رابعاً: زكاة المال والصدقات التطوعية ونظام الوقف الخيري والأهلي ونظام التكافل الاجتماعي الإسلامي من أهم الأساليب لمعالجة الفقر وكافة الأمراض والأوجاع والأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فيقول الله عز وجل: « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (التوبة:٦٠)، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: " فأخبرهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وتعطى لفقرائهم " (رواه الجماعة عن ابن عباس)، وكما يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً أو يعذبهم عذاباً أليماً ".

كما أن نظام الصدقات والكفارات ونظام التكافل الاجتماعي من أبرز سمات المنهج الإسلامي لمعالجة الفقر علاجاً كريماً طيباً والذي طبق في صدر الدولة الإسلامية وحقق حد الكفاية للمسلمين !!! ما أشد احتياجنا إليه في معالجة مشكلة فقرنا.



وللحديث بقية إن شاء الله.

أحداث مهمة في تاريخ الأمة



غزوة مؤتة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

اليوم نقف بعون الله معًا على حادث عجيب قد اختلفت عبارات المؤرخين في وصفه؛ فمنهم من وصفه (بأعظم حرب دامية خاضها المسلمون في حياة النبي صلى الله عليه وسلم)، ومنهم من وصفه (بالمدهش)، ومنهم من وصفه (بالعجيب)، وسنحاول فيما يأتي بعون الله أن نقف على أسرار ذلك الأمر:

أولا: الفرق بين الغزوة والسرية:

اختلفت عبارات المؤرخين في التفريق بين مسمى الغزوة والمعركة والسرية، فقالوا: الغزوة هي التي يشارك فيها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه كغزوة بدر وأُحد مثلاً، أما المعركة فهي لقاء جيش المسلمين مع جيش الكافرين، ولم يشارك فيه النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه، أما السرية فعددها يكون أقل، ولم يشارك فيها النبي صلى الله عليه وسلم.

ولهذا تنطبق هذه الأحكام السابقة على غزوة مؤتة؛ فيسميها بعض المؤرخين بالسرية، ويسميها بعضهم بالمعركة، ويسميها آخرون

إعداد: عبد الرزاق السيد عيد

بالغزوة؛ على اعتبار أن الرسول هو الذي سمَّى قادتها واحدًا بعد الآخر، ورسم خطتها وتابعها من خلال الوحي الإلهي، وكذلك لكثرة عدد الجيش عن السرية ولأهميتها.

ثانيا: تاريخ غزوة مؤتة ومكانها:

وقعت مؤتة في جمادى الأولى سنة ٨هـ الموافق ٦٢٩م.

ومؤتة (بالضم فالسكون) هي قرية بأدنى بلقاء الشام، وهي التي تسمى اليوم (بالكرك).

ثالثا: سبب الغزوة:

بعث النبي صلى الله عليه وسلم الحارث بن عمير الأزدي بكتابه إلى عظيم بصرى يدعوه إلى الإسلام، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني عامل الروم على البلقاء من أرض الشام فأوثقه رباطًا ثم قرَّبه، فضرب عنقه.

رابعًا: تجهيز الجيش واختيار القادة:

اشتد مقتل الحارث بن عمير على الرسول

والمسلمين؛ لأن الرسل عادةً لا تُقتل، فكان مقتل الحارث وبهذه الطريقة البشعة بمثابة إعلان حرب على المسلمين، فجهَّز النبي صلى الله عليه وسلم جيشًا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل للذهاب إلى المكان وتأديب القاتل ومن معه، وكان هذا العدد هو أكبر قوة يمكن تجهيزها من المسلمين في هذا الوقت، وقد عيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراء هذا الجيش على الوجه التالي:

١- يحمل الراية ويقود الجيش زيدُ بن حارثة، وقد عقد له النبيُّ اللواءَ وهو راية بيضاء، فإن قُتل زيد؛

٢- فجعفر بن أبي طالب.

٣- فإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة. (صحيح البخاري).

خامسًا: وصية الرسول للجيش:

أوصاهم النبي أن يأتوا من قتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا مَنْ هناك إلى الإسلام فإن أجابوا فالحمد لله، وإلا استعانوا بالله عليهم، وقال لهم: «اغزوا بسم الله في سبيل الله، لا تغدروا، ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدًا ولا امرأة، ولا كبيرًا فانيًا، ولا منعزلاً في صومعة ولا تقطعوا نخلاً ولا شجرة ولا تهدموا بناء». (صحيح مسلم).

ثم خرج القوم، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مُشَيِّعًا على مشارف المدينة فوقف وودعهم. (ابن هشام).

سادسًا: مفاجأة الجيش على مشارف الشام:

تحرك جيش المسلمين متجهًا إلى وجهته التي أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك في أرض معان على مشارف الشام مما يلي الحجاز الشمالي علم المسلمون أن هرقل نزل بمآب من أرض البلقاء بمائة ألف من الروم، وانضم إليهم من العرب المتنصرين من لخمٍ وجذام وبلقين وبهراء وغيرهم مائة ألف آخرون؛ فبات الجيش المسلم المكون من ثلاثة آلاف قليل العدد والعدة في مواجهة جيش مكون من مئتي ألف مقاتل من الروم وحلفائهم من القبائل العربية كثير العدد والعدة، والفارق ليس بالهين؛ فليس الفارق ضعف العدد أو حتى عشرة أضعافه بل وصل إلى سبعين ضعفًا فماذا يفعل جيش المسلمين في مواجهة الأمر الذي لم يكونوا يحتسبونه، هل يواجهون هذا البحر الخضم من الجنود أم ماذا؟

مجلس المشورة العسكري:

أقام الجيش المسلم بمعان يفكرون في الأمر ويتشاورون فيما بينهم ماذا يفعلون؟ هل يكتبون إلى رسول الله فيخبرونه بعدد عدوهم فيرسل لهم مددًا؟ أو ماذا يأمرنا بأمر فنمضي له.

ولكن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه كان له رأي آخر، فما هو؟

قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: «يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة». فألهبت هذه الكلمات حماس الرجال، وفجرت ينابيع الإيمان في قلوبهم، ودنت من الجميع رائحة الجنة وهبت عليهم نسماتها، فعقدوا العزم على قتال الروم والعرب المتنصرين، ورغب الجيش الذي قوامه ثلاثة آلاف أن يواجه الجيش المكون من مائتي ألف مقاتل بكامل العدد والعدة مهما كان من أمر.

سابعًا: كيف سارت المعركة؟

١- بعد أن قضى الجيش الإسلامي ليلتين في معان، تحركوا إلى أرض العدو حيث لقيتهم جموع هرقل بقرية من قرى البلقاء، يقال لها: «مشارف» ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى مؤتة، فعسكروا هناك وتعبؤوا للقتال فجعلوا على ميمنتهم قطبة بن قتادة العذري، وعلى الميسرة عبادة بن مالك الأنصاري.

٢- وهناك في مؤتة التقى الفريقان، وبدأ القتال المرير حقًا بين ثلاثة آلاف مقاتل مسلم يواجهون مائتي ألف من المشركين (هذه معركة عجيبة تشاهدها الدنيا بالدهشة والحيرة، ولكن إذا هبت ريح الإيمان جاءت العجائب). (الرحيق المختوم).

٣- أخذ الراية زيد بن حارثة وجعل يقاتل بضراوة بالغة وبسالة لا يوجد لها نظير إلا في أمثاله من أبطال الإسلام، فلم يزل يقاتل ويقاتل حتى وقع شهيدًا.

٤- أخذ الراية بعد استشهاد زيد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وطفق يقاتل قتالاً منقطع النظير، حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه الشقراء فعقرها، ثم قاتل حتى قطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، ولم يزل بها حتى قطعت شماله، فاحتضنها بعضديه، فلم يزل رافعًا إياها حتى قُتل.

روى البخاري عن نافع، أن ابن عمر أخبره: أنه وقف يومئذ وهو قتيل به خمسون طعنة وضربة، وليس منها شيء في دُبره، يعني ظهره. يعني كانت الطعنات في جسده وهو مقبل غير مدبر.

٥- ولما قتل جعفر بعد قتاله بمثل هذه الضراوة والبسالة، أخذ الراية عبد الله بن رواحة وتقدم بها، وهو على فرسه وأخذ يقاتل حتى قتل.

ثامنًا: تحول مسار الحركة:

عندما قُتل عبد الله بن رواحة وسقطت الراية من يده واضطرب جيش المسلمين لبرهة حتى التقط الراية رجل من بني عجلان اسمه ثابت بن أقرم- وقال: يا معاشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، أي: اختاروا لكم قائدًا بعد مقتل عبد الله بن رواحة حتى لا يضطرب أمر المسلمين، فقالوا: أنت. أي اختاروا ثابت بن أقرم، قال: ما أنا بفاعل وسلمها لخالد بن الوليد وقال: تسلم يا أبا سليمان الراية، قال خالد: هي لك، قال ثابت: ما تسلمتها إلا لك، فتسلمها خالد بن الوليد رضي الله عنه.

تاسعًا: قتال خالد رضي الله عنه:

لما أخذ خالد الراية هاجم جيش الروم ومن معهم من المشركين العرب واندفع نحوهم وقاتل قتالاً مريرًا، فقد روى البخاري في صحيحه عن خالد أنه قال: «لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية». (صحيح البخاري).

عاشرًا: الوحي يصف المعركة

النبي صلى الله عليه وسلم يصف المعركة كأنه يراها يوم مؤتة، فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب- وعيناه تذرفان- أي عينا النبي تذرفان الدمع- ثم قال: حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم». اهـ أخرجه البخاري.

وهذا فيه بشارة بحسم المعركة لصالح المسلمين، وإشادة بمكانة خالد بن الوليد الحربية والتي انتقلت بفضل الله من الجاهلية إلى الإسلام.

ويا عجبًا إن وافقت رؤية المسلمين رؤية نبيهم ووافق هواهم ما جاء به الوحي، فهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على إخلاص هؤلاء الرجال وسلامة قلوبهم من الحقد والضغينة وطهارتها ورغبتها في نصرة دين الله وبُعدها عن الهوى وحب الظهور وصدق نواياها، فهذا ثابت بن أقرم الأنصاري البدري يتسلم الراية ثم يرى خالدًا أحق بها فيسلمها له ويصر على ذلك ويوافقه المسلمون من المهاجرين والأنصار وخالد حديث عهد بالإسلام لم يمض عليه ثلاثة أشهر بعد إسلامه، لكنه رجل القتال الأنسب في هذا الموقف بغض النظر عن حداثة دخوله في الإسلام، وهذا الاختيار يوافق اختيار الوحي وثناء النبي صلى الله عليه وسلم على خالد وإعطائه أرفع وسام يناله قائد (سيف الله المسلول)، وكأنه سيف أنزله الله من السماء لينصر به دينه، وهكذا نصر الله دينه بخالد في مؤتة وفي غيرها من الملاحم بعد ذلك.

الحادي عشر: خطة خالد رضي الله عنه:

وفي الحديث المتقدم والذي جاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم: «ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم». إشارة إلى أن الله فتح على يد خالد رضي الله عنه وتغير موقف المسلمين من هزيمة كادت تفتك بهم على نصر مؤزر بفضل الله سبحانه، ثم بحنكة خالد الحربية وصبر المسلمين وثباتهم.

وإلى لقاء آخر إن شاء الله.

باب السنة

والآخرة خير وأبقى

إعداد د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن متاع الدنيا واقع مشهود، ونعيم الجنة غيب موعود، والناس تصدق بالشهادة أكثر من الغيب، فكيف إذا كان الموعود يُنال بعد الموت؟ من أجل ذلك قارن جل وعلا بين الآخرة والأولى، وبيَّن أن نعيم الجنة خيرٌ وأبقى فقال تعالى: « وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ » (الأعلى:١٧)، ومن السنة ما رواه الإمام البخاري في صحيحه بسنده عَنْ سَهْلِ بن سعد قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

التخريج:

- صحيح البخاري ت البغا (٢٣٥٨/٥) (٦٠٥٢) كتاب الرقاق: باب مثل الدنيا في الآخرة.

- وفي سنن الترمذي ت بشار (٢٣٢/٣) باب ما جاء في فضل الغدو والرواح في سبيل الله، وقال: حسن صحيح.

- ولبعضه شاهد في صحيح مسلم (١٤٩٩/٣) من حديث أنس في الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة (ولغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما عليها).

مفردات الحديث:

- (موضع سوط): قدر موضعه.

- والسوط: ما يُضرَب به من جلد ونحوه).

- (الغدوة): زمن ما بين طلوع الشمس إلى الزوال.

- (روحة): زمن ما بين الزوال إلى الليل، والمعنى قضاء مثل هذا الوقت في سبيل الله أكثر ثوابًا من التصدق بالدنيا وما فيها أو خير لمن فعل ذلك مما لو ملك الدنيا وما فيها.

المعنى العام للحديث:

يبين رسول الله منزلة الدنيا من الآخرة، بأن جعل موضع سوط من الجنة أو غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، وإنما أراد ثواب الغدوة أو الروحة في الآخرة؛ لينبِّه أُمته على هوان الدنيا عند الله تعالى وضعَتها، فهي كما وصفها تعالى « لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ » (الحديد: ٢٠) الآية.

(ينظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٤٠١/٢٩)، (شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٤٨/١٠).

مما يستفاد من الحديث:

أولا: من أصول الإيمان: الإيمانُ بالجنة والنار، وأنهما المآل الأبدي للخلق، والجنة دار النعيم التي أعدَّها الله للمؤمنين؛ قال الله تعالى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ » (البينة: ٧-٨)، وقال تعالى: « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ » (السجدة: ١٧).

ثانيًا: الترغيب في الغدوة والروحة في سبيل

الله: فالوقت الذي يمضيه المجاهد في سبيل الله وقتٌ نَفيسٌ لا يقدر بثمن؛ فمقام بضع ساعات في الجهاد يعدلُ الدنيا وما فيها.

قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم: «فضل الغدوة والروحة في سبيل الله وثوابهما خير من نعيم الدنيا كلها لو ملكها الإنسان، وتصور تنعمه بها كلها؛ لأنه زائل ونعيم الآخرة باقٍ، قال القاضي: وقيل في معناه ومعنى نظائره من تمثيل أمور الآخرة وثوابها بأمور الدنيا: أنها خير من الدنيا وما فيها لو ملكها إنسان، وملك جميع ما فيها، وأنفقه في أمور الآخرة، قال هذا القائل: وليس تمثيل الباقي بالفاني على ظاهر إطلاقه». والله أعلم.

ثالثًا: الآخرة خير وأبقى من الأولى:

ونبيُّنا صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما كان يلفتُ الأنظار إلى هذه الموعظة، ومن ذلك ما نحن بصدده من هذا الحديث الشريف المبارك فمن أدرك الفوز في الدار الآخرة فقد أدرك الفوز العظيم، ومن فاتته الآخرة، ووافى ربه يوم القيامة مقصرًا فذلك هو الخسران المبين قال تعالى: «قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ» (الزمر: ١٥). فالعاقل مَن لم تشغله الفانية عن الباقية، ثم هو يقبل على صلاح آخرته مع قيامه بما يحتاج إليه من أمر معاشه، كما قال تعالى «وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا» (القصص: ٧٧).

من أجل هذا كان يتنافس على هذا الفاهمون؛ كما قال تعالى: (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)، وقد فهم الصحابة والسلف موعظة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا يتنافسون على الآخرة.

ومن دلائل أفعالهم في ذلك ما رواه أبو ذر رضي الله عنه: أن ناسًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: ((أوَليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن لكم بكل تسبيحة صدقةً، وكل تكبيرة صدقةً، وكل تحميدة صدقةً، وكل تهليلة صدقةً، وأمر بالمعروف صدقةً، ونهي عن منكرٍ صدقةً، وفي بُضْعِ أحدكم صدقةً))، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجرٌ؟ قال: ((أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وزرٌ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرٌ))؛ رواه مسلم.

والشاهد هو المنافسة بين الصحابة رضي الله عنهم على ما يقرِّبهم إلى الله تعالى.

ومن أقوالهم رضي الله عنهم كما رواه أبو نعيم في الحلية: عن موهب بن عبد الله قال: لما استُخلف عمر بن عبد العزيز، كتب إليه الحسن البصري كتاباً، بدأ فيه بنفسه: «أما بعد، فإن الدنيا دار مخيفة، إنما أهبط آدم من الجنة إليها عقوبة؛ واعلم، أن صرعتها ليست كالصرعة، من أكرمها يُهَن، ولها في كل حين قتيل؛ فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحه، يصبر على شدة الدواء، خيفة طول البلاء؛ والسلام». (حلية الأولياء: ١٤٨/٢).

وعن جابر - يعني: الجعفي - قال: «قال لي محمد بن علي: يا جابر، إني لمحزون، وإني لمشتغل القلب؛ قلت: ولم حزنك، وشغل قلبك؟ قال: يا جابر، إنه من دخل، وقلبه صافِ خالص، دين الله شغله عما سواه؛ يا جابر، ما الدنيا، وما عسى أن تكون؟ هل هو إلا مركب ركبته، أو ثوب لبسته، أو امرأة أصبتها؛ يا جابر، إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقاء فيها، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم، ولم يصمهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم من الفتنة، ولم يعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة، ففازوا بثواب الأبرار؛ إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنة، وأكثرهم لك معونة؛ إن نسيت ذكَّروك، وان ذكرت أعانوك، قوالين بحق الله، قوامين بأمر الله، قطعوا محبتهم بمحبة

الله عز وجل؛ ونظروا إلى الله عز وجل وإلى محبته بقلوبهم، وتوحشوا من الدنيا لطاعة مليكهم، وعلموا أن ذلك منظور إليهم من شأنهم؛ فأنزل الدنيا بمنزل نزلت به، وارتحلت عنه؛ أو كمال أصبته في منامك، فاستيقظت، وليس معك منه شيء؛ واحفظ الله تعالى ما استرعاك من دينه وحكمته». (حلية الأولياء: ٣/ ١٨٢).

• وخطب عمر بن عبد العزيز فقال: «إن الدنيا ليست بدار قرار، داركم كتب الله عليها الفناء، وكتب على أهلها منها الظعن؛ فكم عامر موثق، عما قليل مخرب؟ وكم مقيم مغتبط، عما قليل يظعن؟ فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة، بأحسن ما يحضركم من النقلة، وتزودوا، فإن خير الزاد التقوى؛ إنما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب، بينا ابن آدم في الدنيا ينافس فيها، وبها قرير العين، إذ دعاه الله بقدره، ورماه بيوم حتفه، فسلبه آثاره ودنياه، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه؛ إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر، إنها تسر قليلاً، وتجر حزناً طويلاً». (حلية الأولياء: ٥/ ٢٩٢).

وعن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه، قال: «دخلت على أبي بكر رضي الله تعالى عنه في مرضه الذي توفي فيه، فسلمت عليه؛ فقال: رأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل، وهي جائية، وستتخذون ستور الحرير، ونضائد الديباج، وتألمون ضجائع الصوف الأزرى، كأن أحدكم على حسك السعدان؛ ووالله، لئن يقدم أحدكم فيضرب عنقه في غير حد، خير له من أن يسبح في غمرة الدنيا». (حلية الأولياء ١/ ٣٤). وعن شميط بن عجلان قال: «كل يوم ينقص من أجلك وأنت لا تحزن، وكل يوم تستوفي من رزقك؛ قد أعطيت ما يكفيك، وأنت تطلب ما يطغيك؛ لا بقليل تقنع، ولا من كثير تشبع؛ فكيف يستبين للعالم جهل من قد عجز عن شكر ما هو فيه، وهو مغتر في طلب الزيادة؟ أم كيف يعمل للآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته، ولا تنقضي فيها رغبته؟ فالعجب كل العجب؛ لمصدق بدار الحق، وهو يسعى لدار الغرور». (حلية الأولياء: ٣/ ١٢٩).

وكما قال ابن القيم رحمه الله في رائعته في وصف الجنة:

فحي على جنات عدن فإنها
منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو، فهل ترى
نعود إلى أوطاننا ونسلم
وحي على روضاتها وخيامها
وحي على عيش بها ليس يسأم
وحي على يوم المزيد وموعد
المحبين، طوبى للذي هو منهم
وحي على واد بها هو أفيح
تربته من أذفر المسك أعظم
ومن حولها كثبان مسك مقاعد
لمن دونهم هذا الفخار المعظم
يرون به الرحمن جل جلاله
كرؤية بدر التم لا يتوهم
أو الشمس صحواً ليس من دون
أفقها ضباب ولا غيم هناك يغيم
فبادر إذا ما دام في العمر فسحة
وعدلك مقبول وصرفك قيم
فما فرحت بالوصل نفس مهينة
ولا فاز قلب بالبطالة ينعم
فجد وسارع واغتنم ساعة السري
ففي زمن الإمكان (تسعى وتغنم)
وسر مسرعاً فالسير خلفك مسرع
وهيهات ما منه مفر ومهزم
فيا مسرعين السير بالله ربكم
قفوا بي على تلك الربوع وسلموا

نسأل الله أن يغفر لنا ويجعلنا من أهل الجنة، والحمد لله رب العالمين.

قواعد وآداب في التعامل بين الشيوخ والشباب

أهمية تقويم الشخصية

الحلقة الخامسة

إعداد د. عبد الرحمن بن صالح الجيران

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

أهمية تقويم الشخصية:

لقد عالج رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكمة وموعظة حسنة جيل الشباب في زمانه وقابل كل طائفة بما يلائمها من علاج حتى استقامت النفوس وزكت الأخلاق.

فهؤلاء الثلاثة نفر الذين سألوا عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فتقالوها فأرشدهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الوسطية والاعتدال والتوازن بين عمل الدنيا وعمل الآخرة وأخبرهم أن سنته أن يتزوج النساء، وأن يصوم ويفطر ويصلي وينام.

ونصح أبا ذر رضي الله عنه أن ينأى عن تحمل المسئولية وأخبره أنها أمانة، وأنها يوم القيامة خزي وندامة، فهذه نماذج من السيرة العطرة تبين مدى أهمية متابعة العالم الجليل لطلابه وأتباعه في التربية والتعليم وتقويم جوانب الشخصية فيهم.

ومن أمثلة ذلك ما جاء عن حنظلة رضي الله عنه حين يشكو من ضعف الإيمان والفتور الذي يشعر به المؤمن إذا خالط المال والعيال، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» (مسلم: ٧١٤٢).

ومثله غرس الكمالات في نفس الحسن بن علي في حال صغره حين غرس السؤدد وسلامة الصدر، ومحبة اجتماع الكلمة والألفة بين الناس، والصلح بينهم، وحقن دماء المسلمين بقوله: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله تبارك وتعالى به بين فئتين». (رواه أحمد: ٢٠٣٩٢).

وانتفع بجميع الطاقات، وحينما رأى أن أسامة فيه أهلية القيادة نماها فيه، بل أجاب من طعن في إمرته، وخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد؛ أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وايم الله إن كان لخليقًا وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي(رواه مسلم ٢٤٢٦).

وهكذا إذا توفر للشاب المعلم الناصح والعالم والمتقن، فإنه سيرتقي في سلم الكمال الإيماني، وسيحوز على قصب السبق في مضمار العلم والمعرفة.

من مشكلات الشباب

المشكلة الأولى: المعارضة والتصلب في المواقف وحب الظهور وإلقاء اللوم على الآخرين؛ وهذا يظهر جليًا في حال الاختلاف في الرأي أو في الأولويات في الدعوة إلى الله.

الحل الشرعي: يقول الله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (الحجرات: ١٠).

يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «فالواجب علينا في مثل هذا الأمر أن نكون أمة واحدة، وأنا لا أقول أنه لا يخطئ أحد، بل يخطئ ويصيب ولكن الكلام في الطريق إلى الإصلاح إصلاح هذا الخطأ، ليس الطريق إلى إصلاح الخطأ أن أتكلم في غيبته وأقدح فيه ولكن الطريق إلى إصلاحه أن أجتمع به وأناقشه...». (الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات (ص٦٠)).

الحل الاجتماعي:

يرى أهل الاختصاص بعلم النفس والاجتماع أن علاج هذه المشكلة يكون بالسماح للشاب بالتعبير عن أفكاره، والإصغاء باهتمام له، مع توجيهه للبرامج العامة النافعة وحثه على التعايش في محيط سليم، مع مراعاة جانب العبادة والصحبة الصالحة، ومد جسور التواصل والتعاون مع الكبار من أهل الخبرات والتجارب النافعة.

يقول د. عبد الرحمن عيسوي: «ومن الوسائل العلمية التي تساهم في حل هذه المشكلة (العمل على حل مشكلات الشباب وتحريره مما يكبل طاقته من الأزمات والصراعات، ومن موقف الإخفاق والإحباط ومن الشعور باليأس والقنوط مع توفر الرعاية الدينية أو الروحية والصحية والنفسية والاجتماعية والتعليمية». اهـ.

الخلاصة:

إذا أخذ الشباب والشيوخ بهذا التوجيه العلمي والعملي فسوف يمكن بإذن الله تعالى تقليل فجوة الخلاف والقضاء ولو جزئيًا على أسبابه والحد من آثاره على المجمع المسلم.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

القسم الثاني

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

الحلقة (٦٦)

٦١٥- «مَا رَفَعَ أَحَدٌ صَوْتَهُ بِغِنَاءٍ إِلا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ بِشَيْطَانَيْنِ يَجْلِسَانِ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، يَضْرِبَانِ بِأَعْقَابِهِمَا عَلَى صَدْرِهِ حَتَّى يُمْسِكَ».

الحديث لا يصح: خرَّجه وحققه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/٢٨٢) وقال: «أخرجه ابن أبي الدنيا في ذمّ الملاهي، والطبراني في «الكبير» وهو ضعيف».

قلتُ: لا بد من معرفة العلة والتي بها تُعرف درجة هذا الضعف، فقد زلت بعدم المعرفة أقدام وضلت أفهام؛ فهذا الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (ح٤١)، والطبراني في «الكبير» (٨/٢٤١) (ح٧٨٢٥) عن عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعًا، قال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢/٦٢): «عبيد الله بن زحر منكر الحديث جدًّا يروي الموضوعات عن الأثبات، وإذا روَى عن علي بن يزيد أتى بالطامات، وإذا اجتمع في إسناد خبر عبيد الله بن زحر وعلي بن يزيد والقاسم أبو عبد الرحمن لا يكون متن هذا الخبر إلا مما عملت أيديهم، فلا يحل الاحتجاج بهذه الصحيفة». اهـ.

قلتُ: وعلي بن يزيد قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٢٥٥): «منكر الحديث». اهـ. قال محدث وادي النيل الشيخ أحمد شاكر في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): قول الإمام البخاري: «منكر الحديث» فإنه يراد به الكذابين؛ ففي «الميزان» للذهبي (١/٥): نقل ابن القطان: أن البخاري قال: «كل من قلت فيه «منكر الحديث» لا تحل الرواية عنه». اهـ. وبهذا تستبين درجة الضعف فهو في أشدها، فالحديث موضوع.

٦١٦- «خلق الله الحور العين من الزعفران».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «الكبير» (٨/٢٣٧) (ح٧٨١٣) عن عبد الله بن زحر عن علي بن يزيد، عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعًا، وهذا من الطامات التي أتى بها ابن زحر عن علي بن يزيد كما بينا آنفًا، وأخرج هذا الحديث أيضًا الطبراني في «الأوسط» (١/٢٠١) (ح٢٨٩) من حديث أبي أمامة مرفوعًا، وفيه أحمد بن رشدين قال الإمام الذهبي في «الميزان» (١/١٣٣/٥٣٨): أحمد بن محمد بن الحاج بن رشدين، قال ابن عدي: كذَّبُوه». اهـ.

٦١٧- «إِذَا اسْتَقَرَّ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، قَالَتِ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ، أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي أَنْ تُزَيِّنَنِي بِرُكْنَيْنِ مِنْ أَرْكَانِكَ؟ قَالَ: أَوَلَمْ أُزَيِّنْكِ بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١/٢٢٥) (ح٣٣٩) من حديث عقبة بن عامر الجهني، وعلته أحمد بن رشدين، وأورد هذا الحديث الإمام الذهبي في «الميزان» (١/١٣٣/٥٣٨) وقال: هذا الحديث من أباطيل أحمد بن رشدين، وأقرَّه الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١/٢٨٠/٨٠٥).

٦١٨- «كان إبليس أوَّل مَن نَاحَ، وأوَّل مَن تغنَّى».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٢/٢٨٢) عن جابر مرفوعًا بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً من حديث جابر».

٦١٩- «آفة الدين ثلاثة: فقيه فاجر، وإمام جائر، ومجتهد جاهل».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٣٠٢/٢)، والديلمي في «مسند الفردوس» (ح٢٣٧- الغرائب الملتقطة) من حديث نهشل بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعًا، فالحديث غريب كما بين ذلك الحافظ ابن حجر في كتابه «الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس»، والحديث منقطع، حيث إن الضحاك وهو ابن مزاحم؛ ذكره الإمام ابن أبي حاتم في «المراسيل» (١٥٢) بسنده عن شعبة قال: قلت لمُشاش: الضحاك سمع من ابن عباس؟ قال: لا، ولا كلمة». اهـ.

وهناك علة أخرى وهو نهشل بن سعيد القرشي الخراساني الترمذي ذكره الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٧٠٧٧/١٦٣/١٩) وقال: رُوي عن الضحاك بن مزاحم وآخرين، قال أبو داود الطيالسي، وإسحاق بن راهويه: كذاب، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، ليس بثقة، وقال النسائي: متروك، ليس بثقة ولا يُكْتَب حديثه». اهـ. وقال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٥٢/٣): «كان ممن يروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم، لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب». اهـ.

٦٢٠- « شيئان لا أذكر فيهما: الذبيحة والعطاس، هما مُخَلَّصان لله تبارك وتعالى».

الحديث لا يصح: أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (ح١٨٩٦- الغرائب الملتقطة) من حديث نهشل عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعًا، وهو حديث غريب منقطع كذبٌ مختلق مصنوع كما بينا آنفًا من حال نهشل وإرسال الضحاك.

٦٢١- « من صبر على سوء خُلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثلما أعطى أيوب على بلائه، ومن صبرت على سوء خُلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون ».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٤٤/٢) مرفوعًا بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أقف له على أصل». اهـ.

٦٢٢- « طلب العلم ساعة خيرٌ من قيام ليلة، وطلب العلم يومًا خيرٌ من صيام ثلاثة أشهر».

الحديث لا يصح: أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (ح٢٠٠٨- الغرائب الملتقطة) من حديث نهشل عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعًا وهذا حديث غريب تالف؛ علته نهشل كذاب، والضحاك لم يسمع من ابن عباس كما بينا آنفًا.

٦٢٣- «تَعِسَ عَبْدُ الزوجة».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٤٦/٢) مرفوعًا بصيغة الجزم، وهي قوله: «وقد قال عليه السلام...» الحديث، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أقف له على أصل، والمعروف «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم»، رواه البخاري من حديث أبي هريرة». اهـ.

٦٢٤- « الغُدُوُّ والرواح في تعلُّم العلم؛ أفضل عند الله من الجهاد في سبيل الله عز وجل».

الحديث لا يصح: أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (ح٢٠٩٠- الغرائب الملتقطة) من حديث نهشل عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعًا، وهذا حديث غريب تالف، ونهشل كذاب، والضحاك لم يسمع من ابن عباس؛ فالسند به سقط في الإسناد وطعن في الرواية؛ كما بينا آنفًا.

٦٢٥- «في آخر الزمان ينتقل بَردُ الروم إلى الشام، وبَرد الشام إلى مصر».

الحديث لا يصح: أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح٧٤٩) وقال: «يجري على الألسنة كثيرًا حتى سمعت شيخنا- يعني ابن حجر- يحكيه بقوله: «يقال مع الإفصاح بأنه لا أصل له». وقد راجعت «أنس الشاتي في الزمن العاتي» لأبي سعد بن السمعاني، لظن حكايته عن أحد، فما وجدته». اهـ.



باب الطهارة

(الحلقة السادسة)

إعداد: د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد ذكرنا في الحلقة السابقة علامة الطهر من الحيض، ومتى يجوز إتيان الحائض إذا طهُرت؟ وهل تحيض الحامل أم لا؟ ونستكمل- بإذن الله تعالى- ما يتعلق بالحيض من أحكام.

أولاً: يحرم على الحائض الصوم والصلاة:

اتفق الفقهاء على أنه يحرم على الحائض الصوم والصلاة، ويجب عليها قضاء الصوم ولا تقضي الصلاة- تبيين الحقائق (٥٦/١)، بداية المجتهد (٦٢/١)، المجموع شرح المهذب (٣٥٤/٢)، الكافي لابن قدامة (١٣٤/١، ١٣٥).

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١- عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أليس إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصم»- أخرجه البخاري (١٩٥١)، ومسلم (٨٠) مطولا.

٢- عن عائشة رضي الله عنها قالت، جاءت فاطمة بنت أبي حبيش، إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إني امرأة أستحاض فلا أطهر، أفأدع الصلاة؟ فقال: «لا، إنما ذلك عرق وليس بالحيضة فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة، وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم وصلي»- أخرجه البخاري (٢٢٨)، ومسلم (٣٣٣).

٣- عن معاذة قالت: سألت عائشة: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: أحرورية أنت؟ قلت: لست بحرورية، ولكني أسأل، قالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة-أخرجه البخاري (٣٢١)، ومسلم (٦٩- ٣٣٥). (حرورية: طائفة من الخوارج).

قال ابن المنذر في الإجماع (ص:٤٢): «وأجمعوا على أن الحائض لا صلاة عليها في أيام حيضتها، فليس عليها القضاء. وأجمعوا على أن عليها قضاء الصوم الذي تفطره في أيام حيضتها في شهر رمضان».

ثانيًا: إذا دخل وقت الصلاة ثم حاضت المرأة قبل أن تصلي فلا يجب عليها القضاء:

ذلك أن الله تعالى جعل للصلاة وقتًا محددًا، وأباح لنا الصلاة في أول هذا الوقت وآخره، فإذا لم يتعين أول الوقت للوجوب، فلا يجب عليها القضاء؛ لأنه لو كانت الصلاة تجب بأول الوقت لكان مَن صلاها في آخر وقتها قاضيًا لها، آثما بتأخيرها عن وقتها، وهذا خلاف ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث صلى الصلاة في أول وقتها وفي آخر وقتها وقال للسائل الذي سأله عن مواقيت الصلاة: «مَا بَيْنَ مَا رَأَيْتَ وَقْتٌ»؛ أخرجه مسلم (٦١٣).

كما أن الصحابيات في عهد رسول الله صلى الله

عليه وسلم كن يحضن في كل الأوقات ولم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم واحدة منهن بقضاء الصلاة التي فاتتها قبل نزول الحيض، ولو كان القضاء واجبًا لأمرهن بذلك إذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

قال السرخسي في المبسوط (١٤،١٥/٢): «وإذا أدركها الحيض في شيء من الوقت وقد افتتحت الصلاة أو لم تفتتحها سقطت تلك الصلاة عنها، أما إذا حاضت بعد دخول الوقت فليس عليها قضاء تلك الصلاة إذا طهرت عندنا، لكنا نقول ما بقي شيء من الوقت فالصلاة لم تصر دينًا في ذمتها بل هي في الوقت عين، وإنما تعذر عليها الأداء بسبب الحيض وذلك غير موجب للقضاء، فأما بخروج الوقت فتصير الصلاة دينًا في ذمتها، والحيض لا يمنع كون الصلاة دينًا في ذمتها».

قال الكاساني في بدائع الصنائع (٩٥/١): «إذا حاضت في آخر الوقت أو نفست والعاقل إذا جُنَّ أو أُغمي عليه والمسلم إذا ارتد- والعياذ بالله- وقد بقي من الوقت ما يسع الفرض لا يلزمهم الفرض عند أصحابنا؛ لأن الوجوب يتعين في آخر الوقت عندنا إذا لم يوجد الأداء قبله فيستدعي الأهلية فيه لاستحالة الإيجاب على غير الأهل ولم يوجد».

قال ابن حزم في المحلى (٣٩٤،٣٩٥/١): «وإن حاضت امرأة في أول وقت الصلاة أو في آخر الوقت ولم تكن صلت تلك الصلاة سقطت عنها، ولا إعادة عليها فيها... برهان قولنا: هو أن الله تعالى جعل للصلاة وقتًا محدودًا أوله وآخره، وصح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الصلاة في أول وقتها وفي آخر وقتها، فصح أن المؤخِّر لها إلى آخر وقتها ليس عاصيًا؛ لأنه- عليه السلام- لا يفعل المعصية، فإذا هي ليست عاصية فلم تتعين الصلاة عليها بعد، ولها تأخيرها، فإذا لم تتعين عليها حتى حاضت فقد سقطت عنها، ولو كانت الصلاة تجب بأول الوقت لكان مَن صلاها بعد مضي مقدار تأديتها من أول وقتها قاضيًا لها لا مصليًا، وفاسقًا بتأخيرها عن وقتها، ومؤخرًا لها عن وقتها، وهذا باطل لا اختلاف فيه من أحد».

وهذا لا ينفي وجود خلاف في المسألة قال به بعض أهل العلم، وهو القول بوجوب القضاء على الحائض إذا حاضت بعد دخول الوقت وهو مذهب الشافعية والحنابلة ذلك أن الصلاة تعلقت بذمتها بدخول الوقت، وللمالكية تفصيل في القضاء، نهاية المحتاج (٣٩٧/١)، كشاف القناع (٢٥٩/١).

ثالثًا: إذا طهرت الحائض قبل الفجر ونوت الصيام صح صومها بدون غسل ولا يتوقف صحت صومهما على الغسل:

والدليل على ذلك:

١- قوله تعالى: «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ» (البقرة: ١٨٧)؛ فلما أباح المباشرة إلى تبيّن الفجر، عُلم أن الغسل إنما يكون بعده- (المغني ١٤٩/٣).

٢- عن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله، ثم يغتسل ويصوم- أخرجه البخاري (١٩٢٦)، ومسلم (١١٠٩).

فإذا كان الجنب يغتسل بعد الفجر ويصح صومه فكذا الحائض سواء بسواء- المغني (١٤٩/٣).

قال ابن قدامة في المغني (١٤٩/٣): «وكذلك المرأة إذا انقطع حيضها من الليل، فهي صائمة إذا نوت الصوم قبل طلوع الفجر، وتغتسل إذا أصبحت، وجملة ذلك أن الحكم في المرأة إذا انقطع حيضها من الليل، كالحكم في الجنب سواء، ويشترط أن ينقطع حيضها قبل طلوع الفجر؛ لأنه إن وجد جزء منه في النهار أفسد الصوم، ويشترط أن تنوي الصوم أيضا من الليل بعد انقطاعه؛ لأنه لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل».

قال النووي في شرح مسلم (٢٢٣/٧): «وإذا انقطع دم الحائض والنفساء في الليل ثم طلع الفجر قبل اغتسالهما صح صومهما ووجب عليهما إتمامه سواء تركت الغسل عمدًا أو سهوًا بعذر أم بغيره كالجنب، هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة إلا ما حكي عن بعض السلف مما لا نعلم صح عنه أم لا قوله».

قال الحافظ في الفتح (٢٢٦/٤): «ومما يفرق

فيه بين الصوم والصلاة في حقّ الحائض أنها لو طهرت قبل الفجر ونوت صح صومها في قول الجمهور ولا يتوقف على الغسل».

- **رابعًا: هل يجوز للحائض قراءة القرآن؟**

للفقهاء في هذه المسألة قولان:

أحدهما: تحريم قراءة القرآن للحائض وإليه ذهب أبو حنيفة (المبسوط ٣/١٥٢) وكثير من الشافعية (المجموع ٢/٣٥٦) وهو المشهور من مذهب الإمام أحمد (الإنصاف ١/٣٢٧).

واستدلوا بحديث ضعّفه أهل المعرفة بالحديث، وفيه أن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَقْرَأ الحَائض، وَلا الجُنُبُ شَيْئًا مِنَ القُرْآنِ» ضعيف سنن أبي داود (١٣١)، وضعّفه الحافظ ابن حجر في الفتح (١/٤٨٧) قال: وأما حديث ابن عمر مرفوعًا فضعيف من جميع طرقه- وضعفه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢١/٤٦٠) قال: هو ضعيف باتفاق أهل المعرفة بالحديث، وضعفه العلامة ابن باز، والعلامة الألباني وغيرهم.

الثاني: جواز قراءة القرآن للحائض، وهو ما ذهب إليه حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما، والإمام مالك (حاشية الدسوقي ١/١٧٤)، والشافعي في قول (المجموع ٢/٣٥٦)، وقول في مذهب الإمام أحمد (المغني ١/١٢١) وابن حزم (المحلى ١/٩٤) وشيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٢١/٤٦٠-٤٦١). وهو أيضًا قول الإمام البخاري وداود والإمام الطبري شيخ المفسرين وابن المنذر وغيرهم.

واستدلوا بما يأتي:

١- عندما حاضت عائشة قبل أعمال الحج قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افْعَلي كَمَا يَفْعَلُ الحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لا تَطُوفي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُري»- أخرجه البخاري (٣٠٥)، ومسلم (١٢١١).

ومن المعلوم أن الحاج يذكر الله، ويقرأ القرآن، فكذلك الحائض لها ذلك.

٢- قوله صلى الله عليه وسلم: «المُؤْمِنُ لاَ يَنْجُسُ»- أخرجه البخاري (٢٨٥)، ومسلم (٣٧١).

دلّ الحديث على نفي النجاسة عن المؤمن، ونفي النقيض يستلزم ثبوت نقيضه؛ لأنه ليس هناك إلا طهارة أو نجاسة، وهذا نص عام يدل على أن المؤمن لا ينجس لا بجنابة ولا حيض ولا غير ذلك.

٣- عن عائشة قالت: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أناوله الخُمْرَة من المسجد فقلت: إني حائض، فقال: «تَنَاوَلِيهَا فَإِنَّ الحَيْضَةَ لَيْسَتْ في يَدِكِ» أخرجه مسلم (٢٩٨).

وفي رواية أبي هريرة، فقال: «يَا عَائِشَةُ، نَاوِلِينِي الثَّوْبَ فَقَالَتْ: إِنِّي حَائِضٌ، فَقَالَ: إِنَّ حَيْضَتَكِ لَيْسَتْ في يَدِكِ»- أخرجه مسلم (٢٩٩).

قالوا في هذا الحديث دليل على أن الحائض ليست نجسة.

٤- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أُرَجِّل رَأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا حائض». أخرجه البخاري (٢٩٥)، ومسلم (٢٩٧).

فدل ذلك على أن الحائض طاهرة وليس بنجسة.

تعقيب وترجيح:

والذي تطمئن إليه النفس، وينشرح له الصدر هو ما ذهب إليه أئمة الفقه والحديث من جواز قراءة القرآن للحائض؛ وذلك لقوة أدلة المجيزين وضعف أدلة المانعين، ومن المعلوم أيضًا أن النساء كن يحضن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن يمنعهن من قراءة القرآن، ولو كانت قراءة القرآن للحائض غير جائزة لمنعهن النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك؛ إذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، هذا من حيث أدلة النقل، أما أدلة العقل، فتقتضي الأخذ بهذا القول؛ لأن القاعدة الأصولية تقول: «المشقة تجلب التيسير»، ومن المشقة أن أمنع امرأة من مراجعة ما معها من القرآن مدة حيضها، وكذا النفساء أربعين يومًا، وربما أكثر، وهذا في الغالب يفضي إلى نسيان ما تحفظ، فيجلب لها المشقة في إعادة حفظ ما معها من القرآن فضلاً عن نقص الإيمان الذي يحدث إذا اجتمع عليها مع ترك الصلاة ترك تلاوة كتاب الله.

والله تعالى أعلم.

لزوم الأدب قبل العلم

إعداد: صلاح نجيب الدق

الْحَمْدُ لِلَّهِ الكريم المنان، ذي الفضل والإحسان، الذي هدانا للإيمان، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، الَّذِي أَرْسَلَهُ رَبُّهُ شاهدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ: فإنَّ الأدبَ هو زينة طلاب العلم الكرام. فأقول وبالله تعالى التوفيق:

معنى الأدب:

الأدبُ: الأخذُ بمكارم الأخلاق.

منزلة الأدب:

قال الإمامُ ابن القيم: أَدَبُ الْمَرْءِ: عُنْوَانُ سَعَادَتِهِ وَفَلَاحِهِ. وَقِلَّةُ أَدَبِهِ: عُنْوَانُ شَقَاوَتِهِ وَبَوَارِهِ. فَمَا اسْتُجْلِبَ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمِثْلِ الْأَدَبِ، وَلَا اسْتُجْلِبَ حِرْمَانُهُمَا بِمِثْلِ قِلَّةِ الْأَدَبِ. (مدارج السالكين-٢/٣٦٨).

نبينا صلى الله عليه وسلم ميزان الأدب

لقد مدح الله تعالى نبينا محمد قائلاً له: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)(القلم: ٤).

عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: أَخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ. (حديث صحيح؛ مسند أحمد- ٤٢/ ١٨٣)

, قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمِيزَانُ الْأَكْبَرُ، فَعَلَيْهِ تُعْرَضُ الْأَشْيَاءُ، عَلَى خُلُقِهِ وَسِيرَتِهِ وَهَدْيِهِ، فَمَا وَافَقَهَا فَهُوَ الْحَقُّ، وَمَا خَالَفَهَا فَهُوَ الْبَاطِلُ» (الجامع لأخلاق الراوي- للخطيب البغدادي-١/٧٩).

حرص السلف على الأدب قبل العلم:

(١) قَالَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ،: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ الْحَدِيثَ تَأَدَّبَ وَتَعَبَّدَ قَبْلَ ذَلِكَ بِعِشْرِينَ سَنَةً. (حلية الأولياء- لأبي نعيم الأصبهاني- ٦/٣٦١).

(٢) قَالَ ابْنِ الْمُبَارَكِ: قَالَ لِي مَخْلَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: «نَحْنُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَدَبِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْحَدِيثِ» (الجامع لأخلاق الراوي- للخطيب البغدادي١/ ٨٠).

(٣) قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: إِذَا وُصِفَ لِي رَجُلٌ لَهُ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَا أَتَأَسَّفُ عَلَى فَوْتِ لِقَائِهِ، وَإِذَا سَمِعْتُ رَجُلًا لَهُ أَدَبُ النَّفْسِ أَتَمَنَّى

لِقَاءَهُ وَأَتَأَسَّفُ عَلَى فَوْتِهِ.(الآداب الشرعية- محمد بن مفلح الحنبلي- ٣/٥٥٢).

(٤) قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: مَنْ تَهَاوَنَ بِالْأَدَبِ عُوقِبَ بِحِرْمَانِ السُّنَنِ. وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالسُّنَنِ. عُوقِبَ بِحِرْمَانِ الْفَرَائِضِ. وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالْفَرَائِضِ عُوقِبَ بِحِرْمَانِ الْمَعْرِفَةِ. (الجامع لأخلاق الراوي- ١/ ٨٠).

(٥) قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ (فِي وَصْفِ حَالِ التابعين): «كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ الْهَدْيَ كَمَا يَتَعَلَّمُونَ الْعِلْمَ» (الجامع لأخلاق الراوي- ١/ ٧٩).

(٦) قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ لِفَتًى مِنْ قُرَيْشٍ: يَا ابْنَ أَخِي تَعَلَّمِ الْأَدَبَ قَبْلَ أَنْ تَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ. (حلية الأولياء- لأبي نعيم الأصبهاني- ٦/ ٣٣٠).

(٧) وقَالَ أيضاً: حَقًّا عَلَى مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ وَخَشْيَةٌ، وَأَنْ يَكُونَ مُتَّبِعًا لِأَثَرِ مَنْ مَضَى قَبْلَهُ. (الجامع لأخلاق الراوي-

١٥٦/١).

(٨) وقَالَ: كَانَ ابْنُ سِيرِينَ قَدْ مَرِضَ وَتَخَلَّفَ عَنِ الحَجِّ، فَكَانَ يَأْمُرُ مَنْ يَحُجُّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى هَدْيِ القَاسِمِ بنِ مُحَمَّدٍ، وَلُبُوسِهِ، وَنَاحِيَتِهِ، فَيُبَلِّغُونَهُ ذَلِكَ، فَيَقْتَدِي بِالقَاسِمِ. (سير أعلام النبلاء- ٥/ ٥٧).

(٩) قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: مَا نَقَلْنَا مِنْ أَدَبِ مَالِكٍ، أَكْثَرُ مِمَّا تَعَلَّمْنَا مِنْ عِلْمِهِ. (المصدر السابق- ٨/ ١١٣).

(١٠) قال إسماعيل بنُ عُلَيَّةَ: كَانَ يَجتَمِعُ فِي مَجْلِسِ أَحْمَدَ نَحْوُ خَمْسَةِ آلافٍ- أَوْ يَزِيدُونَ، نَحْوَ خَمْسِ مِائَةٍ- يَكْتُبُونَ، وَالبَاقُونَ يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ حُسْنَ الأَدَبِ وَالسَّمْتِ. (نفس المصدر- ١١/ ٣١٦).

(١١) كَانَ أَصْحَابُ عبد الله بن مسعود يرحلون إِلَيْهِ فَيَنْظُرُونَ إلى سَمْتِهِ (حسن الهَيْئَة) وهَدْيِهِ (السكينة وَالْوقار) فيتشبهون بِهِ. (غريب الحديث- ١/ ٣٨٤).

(١٢) قال عباس العنبري: كانوا يكتبون قيام علي بن المديني (شيخ البخاري) وقعوده ولباسه، وكل شيء يقول ويفعل أو نحو هذا. (تاريخ بغداد-١٣/ ٤٢١).

(١٣) قَالَ إِبْرَاهِيمُ النخعي: «كَانُوا إِذَا أَتَوُا الرَّجُلَ لِيَأْخُذُوا عَنْهُ نَظَرُوا إِلَى سَمْتِهِ وَإِلَى صَلاتِهِ وَإِلَى حَالِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُونَ عَنْهُ» (الجامع لأخلاق الراوي- ١/ ٢٨٠).

(١٥) قَالَ أيضاً: كُنا إِذا أَرَدْنا أَنْ نَأْخُذَ عَنْ شَيْخٍ سَأَلْنَاهُ عَنْ مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ وَمُدْخَلِهِ وَمُخْرَجِهِ، فإن كان على استواء أخذنا عنه وإلا لم نأته. (الكامل في ضعفاء الرجال- للجرجاني- ١/ ٢ ٦٠).

(١٦) قال الخطيب البغدادي: الْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ طَلَبَةُ الْحَدِيثِ أَكْمَلَ النَّاسِ أَدَبًا، وَأَشَدَّ الْخَلْقِ تَوَاضُعًا، وَأَعْظَمَهُمْ نَزَاهَةً وَتَدَيُّنًا، وَأَقَلَّهُمْ طَيْشًا وَغَضَبًا، لِدَوَامِ قَرْعِ أَسْمَاعِهِمْ بِالأَخْبَارِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى مَحَاسِنِ أَخْلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآدَابِهِ، وَسِيرَةِ السَّلَفِ الأَخْيَارِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَطَرَائِقِ الْمُحَدِّثِينَ، وَمَآثِرِ الْمَاضِينَ، فَيَأْخُذُوا بِأَجْمَلِهَا وَأَحْسَنِهَا، وَيَصْدِفُوا (يبتعدوا) عَنْ أَرْذَلِهَا وَأَدْوَنِهَا. (الجامع لأخلاق الراوي- ١/ ٧٨).

صور من أدب العلماء:

(١) قَالَ طَاوُوسُ بنُ كَيْسَانَ: «مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُوَقَّرَ الْعَالِمُ» (جامع بيان العلم- لابن عبد البر- ١/ ٥١٩).

(٢) قَالَ الْحَسَنُ البصري: رُئِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَأْخُذُ بِرِكَابِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَقِيلَ لَهُ: «أَنْتَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ تَأْخُذُ بِرِكَابِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ» فَقَالَ: «إِنَّهُ يَنْبَغِي لِلْحَبْرِ أَنْ يُعَظَّمَ وَيُشَرَّفَ» (الجامع لأخلاق الراوي-١/ ١٠٨).

(٣) قَالَ عَامِرُ الشَّعْبِيُّ: « أَمْسَكَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِرِكَابِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، فَقَالَ: «أَتُمْسِكُ لِي وَأَنْتَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» ؟ قَالَ: «إِنَّا هَكَذَا نَصْنَعُ بِالْعُلَمَاءِ» (المصدر السابق- ١/ ١٠٨).

(٤) قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ: كَانَ يَحْيَى بنُ سَعِيْدٍ يُجَالِسُ رَبِيْعَةَ بنَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ التَّيْمِيَّ، فَإِذَا غَابَ رَبِيْعَةُ، حَدَّثَهم يَحْيَى أَحْسَنَ الحَدِيْثِ- وَكَانَ كَثِيْرَ الحَدِيْثِ- فَإِذَا حَضَرَ رَبِيْعَةُ، كَفَّ يَحْيَى إِجْلاَلاً لِرَبِيْعَةَ، وَلَيْسَ رَبِيْعَةُ أَسَنَّ مِنْهُ، وَهُوَ فِيْمَا هُوَ فِيْهِ، وَكَانَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُبَجِّلاً لِصَاحِبِهِ. (سير أعلام النبلاء- ٦/ ٩٢).

(٥) قَالَ مُحَمَّدُ بنُ رَافِعٍ: كُنْتُ مَعَ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ عِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، فَجَاءنَا يَوْمُ الفِطْرِ، فَخَرَجْنَا مَعَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ إِلى المُصَلَّى، وَمَعَنَا نَاسٌ كَثِيْرٌ، فَلَمَّا رَجَعْنَا، دَعَانَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ إِلى الغَدَاءِ، ثُمَّ قَالَ لأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ: رَأَيْتُ اليَوْمَ مِنْكُمَا عَجَباً، لَمْ تُكَبِّرَا! فَقَالَ أَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ: يَا أَبَا بَكْرٍ! كُنَّا نَنْتَظِرُ هَلْ تُكَبِّرُ، فَنُكَبِّرَ، فَلَمَّا رَأَيْنَاكَ لَمْ تُكَبِّرْ، أَمسَكْنَا. قَالَ: وَأَنَا كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَيْكُمَا، هَلْ تُكَبِّرَانِ، فَأُكَبِّرَ. (المصدر السابق- ٩/ ٥٦٦)

(٦) قَالَ الثَّوْرِيُّ: عَنْ أَبِيْهِ، سَمِعَ أَبَا وَائِلٍ سُئِلَ: أَنْتَ أَكْبَرُ أَوِ الرَّبِيْعُ بنُ خُثَيْمٍ؟ قَالَ: أَنَا أَكْبَرُ مِنْهُ سِنّاً، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنِّي عَقْلاً. (نفس المصدر- ٤/ ١٦٣).

(٧) قَالَ شُعْبَةُ بْنُ الحَجَّاجِ: «حَدَّثَنِي سَيِّدُ الْفُقَهَاءِ أَيُّوبُ السختياني» (الجامع لأخلاق

الراوي- ٢/٨٦).

(٨) قَالَ حَاشِدُ بنُ إِسْمَاعِيلَ: كُنتُ بِالبَصْرَةِ، فَسَمِعتُ قُدُومَ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ بُنْدَارُ: اليَوْمَ دَخَلَ سَيِّدُ الفُقَهَاءِ. (سير أعلام النبلاء - ١٢/٤٢٢).

(٩) جَاءَ مُسْلِمُ بْنُ الحَجَّاجِ، إِلَى البُخَارِيِّ فَقَالَ: دَعْنِي أُقَبِّلْ رجليك يَا أُسْتَاذَ الأُسْتَاذِين، وَسَيِّدَ المُحَدِّثِين، وَطَبِيبَ الحديث فِي عِلَلِه.

(المصدر السابق -١٢/٤٣٢).

(١٠) لما دخل عز الدين بن عبد السلام مصر بالغ الشيخ زكي الدين المنذري في الأدب معه، وامتنع من الإفتاء لأجله، وقال: كنا نُفتي قبل حضوره، وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا متعين فيه. (حسن المحاضرة- للسيوطي ١/ ٣١٥).

مصاحبة العلماء:

ملازمة العلماء مدة طويلة من أفضل الوسائل لطلب الأدب والعلم.

(١) عَنِ الأَعْرَجِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، يُكْثِرُ الحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاللهُ المَوْعِدُ، كُنْتُ رَجُلًا مِسْكِينًا، أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي، وَكَانَ المُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ وَكَانَتِ الأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ القِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَبْسُطْ ثَوْبَهُ فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي» فَبَسَطْتُ ثَوْبِي حَتَّى قَضَى حَدِيثَهُ، ثُمَّ ضَمَمْتُهُ إِلَيَّ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ. (البخاري- حديث٧٣٥٤/مسلم حديث: ٢٤٩٢)

قَوْلُهُ: (وَاللهُ المَوْعِدُ) مَعْنَاهُ فَيُحَاسِبُنِي إِنْ تَعَمَّدْتُ كَذِبًا وَيُحَاسِبُ مَنْ ظَنَّ بِي السُّوءَ.

قَوْلُهُ: (عَلَى مِلْءِ بَطْنِي) أَيْ أَلَازِمُهُ وَأَقْنَعُ بِقُوتِي وَلَا أَجْمَعُ مَالًا لِذَخِيرَةٍ وَلَا غَيْرِهَا وَلَا أَزِيدُ عَلَى قُوتِي.

قَوْلُهُ: (الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ) أَيْ البَيع والشراء بِالأَسْوَاقِ. (مسلم شرح النووي- ١٦/ ٥٣).

(٢) قال أبو حنيفة: صحبت حماد بن أبي سُليمان، ثماني عشرة سنة. (تاريخ بغداد- للخطيب البغدادي- ١٥/ ٤٤٤).

(٣) قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: كَانَ الرَّجُلُ يَخْتَلِفُ (يتردد) إِلَى الرَّجُلِ ثَلاثِينَ سَنَةً يَتَعَلَّمُ مِنْهُ. (سير أعلام النبلاء - ٨/١٠٨).

(٤) وقال أيضا: جَالَسَ نُعَيْمٌ المُجْمِرُ أَبَا هُرَيْرَةَ عِشْرِيْنَ سَنَةً. (المصدر السابق- ٨/١٠٨).

(٥) قال ثَابِتٌ البُنَانِيُّ: صَحِبْتُ أَنَسَ بنَ مَالِكٍ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً مَا رَأَيْتُ أَعْبَدَ مِنْهُ! (نفس المصدر- ٥/ ٢٢٢).

(٦) قَالَ نَافِعُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: جَالَسْتُ مَالِكًا أَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً.كُلَّ يَوْمٍ أُبَكِّرُ وَأُهَجِّرُ وَأَرُوحُ. (حلية الأولياء- لأبي نعيم الأصبهاني-٦/ ٣٢٠).

(٧) قال ابنُ حبان: كَانَ حَامِد بن يحيى البَلْخي مِمَّن أفنى عمره بمجالسة سُفْيَان بن عُيَيْنَة. (الثقات- لابن حبان- ٨/٢١٨).

بركات مصاحبة العلماء:

قال عبد الله بن أبي موسى التستري: قيل لي: حيث ما كنت،فكن قرب فقيه. فأتيت بيروت إلى الأوزاعي. فبينما أنا عنده إذ سألني عن أمري فأخبرته، فقال لي ألك أب ؟ قلت: نعم، تركته بالعراق مجوسيًا. قال فهل لك أن ترجع إليه لعل الله أن يهديه على يديك. قلت ترى لي ذلك ؟ قال: نعم. فأتيت أبي فوجدته مريضاً. فقال لي: يا بني أي شيء أنت عليه ؟ فأخبرته أني أسلمت. فقال لي أعرض عليَّ دينك؟ فأخبرته بالإسلام وأهله. قال فإني أشهد أني قد أسلمت. فمات في مرضه ذلك فدفنته ورجعت إلى الأوزاعي فأخبرته. (تاريخ دمشق- لابن عساكر- ٣٣/ ٢٣١). فهذا من بركة العلم.

التحذير من الطعن في العلماء:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ(أَعْلَمْتُهُ) بِالحَرْبِ. (البخاري

حديث: ٦٥٠٢).

قَوْلُهُ: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا) الْمُرَادُ بِوَلِيِّ اللَّهِ: هُوَ الْعَالِمُ بِاللَّهِ الْمُوَاظِبُ عَلَى طَاعَتِهِ الْمُخْلِصُ فِي عِبَادَتِهِ.

قَوْلُهُ: عَادَى لِي وَلِيًّا: أَيْ اتَّخَذَهُ عَدُوًّا. (فتح الباري- لابن حجر العسقلاني- ١١/ ٣٤٣)

فكيف حال من رمى أهل العلم بكل نقيصة وبحث عن زلاتهم جهده ؟!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا، فَلَيْسَ مِنَّا» (حديث صحيح؛ صحيح الأدب المفرد للألباني- ص-١٤٢).

الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ هم وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وصفوة الْأَوْلِيَاءِ

قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: «إِنْ لَمْ يَكُنِ الْفُقَهَاءُ الْعَامِلُونَ أَوْلِيَاءَ اللهِ فَلَيْسَ للهِ وَلِيٌّ».(سير أعلام النبلاء- ١٠/ ٥٣).

قَالَ ابْنِ الْمُبَارَكِ:: مَنِ اسْتَخَفَّ بِالْعُلَمَاءِ، ذَهَبَتْ آخِرَتُهُ. (المصدر السابق- ٨/٤٠٨)

قال أبو جعفر الطحاوي: عُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ- أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ- لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ). (شرح العقيدة الطحاوية- ١/ ٥٠٣).

قَالَ الْحَافِظُ الإِمَامُ ابْنُ عَسَاكِرٍ-: اعْلَمْ يَا أَخِي وَفَّقَكَ اللهُ وَإِيَّانَا، وَهَدَاكَ سَبِيلَ الْخَيْرِ وَهَدَانَا أَنَّ لُحُومَ الْعُلَمَاءِ مَسْمُومَةٌ. وَعَادَةُ اللهِ فِي هَتْكِ مُنْتَقِصِهِمْ مَعْلُومَةٌ، لأن الوقيعة فيهم بِمَا هم مِنْهُ بَرَاءٌ أمره عظيم والتناول لأعراضهم بالزور والإفتراء مرتع وخيم والاختلاق على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم.(تبيين كذب المفتري- لابن عساكر- ص-٢٩).

وقال أيضاً: كُل مَنْ أَطْلَقَ لِسَانَهُ فِي الْعُلَمَاءِ بِالثَّلْبِ (الطعن) ابْتَلاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ مَوْتِهِ بِمَوْتِ الْقَلْبِ (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ؛ النور: ٦٣). (المصدر السابق- ص-٤٢٥).

أضرار الطعن في العلماء

يمكن أن نوجز أضرار الطعن في العلماء في الأمور التالية:

(١) الطعن في الْعَالِم سببٌ في رَدِّ ما يقولَه من الحق.

إن جرحَ الْعَالِم ليس جرحاً شخصياً، كأي جرح في رجل عامي، ولكنه جرح بليغ الأثر، يتعدى الحدود الشخصية، إلى رد ما يحمله العالم من الحق. ولذلك استغل المشركون من قريش هذا الأمر، فلم يطعنوا في الإسلام أولاً، بل طعنوا في شخص الرسول-صلى الله عليه وسلم-؛ لأنهم يعلمون-يقيناً- أنهم إن استطاعوا أن يشوهوا صورة الرسول- صلى الله عليه وسلم- في أذهان الناس؛ فلن يقبلوا ما يقوله من الحق، قالوا: إنه ساحر، كاهن، مجنون، ولكنهم فشلوا-ولله الحمد- في ذلك.

(٢) الطعن في الْعَالِم يعتبر طعناً في العلم الذي معه.

العلم الذي يحمله الْعَالِمُ هو ميراث النبي- صلى الله عليه وسلم- إذ العلماء ورثة الأنبياء؛ فجَرْحُ الْعَالِم جَرْحٌ للنبي-عليه الصلاة والسلام-.

قَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ: «مَنْ آذَى فَقِيهًا فَقَدْ آذَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ آذَى رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْ آذَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ» (الفقيه والمتفقه- للخطيب البغدادي١/ ١٤٣).

وعلى ذلك فمن يطعن في العلماء،فهو يطعن في الإسلام من حيث لا يشعر.

(٣) الطعن في العلماء يؤدي إلى ابتعاد طلاب العلم عن علماء الأمة، وحينئذ يسير الطلاب في طريقهم بدون مرشدين؛ فيتعرضون للأخطار والأخطاء، ويقعون في الشطط والزلل.

(٤) الطعن في العلماء تقليل لهم في نظر عامة الناس،وهذا يؤدي إلى ذهاب هيبتهم، وقيمتهم في صدورهم.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

إدارة الغضب بين التقييم والتقويم



طرق علاج الانفعال الزائد

الحلقة الأولى

إعداد د. ياسر لمعي عبد المنعم

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

أمور مهمة قبل البدء في علاج الانفعال والغضب:

أولاً: ثقتنا بقدرتنا على التغيير، وطلب العون من الله تعالى، وكثرة الدعاء، فنحن لا نستطيع أن نغير الآخرين، أو أن نتجنب الظروف التي تسبب الضيق، لكننا نملك أنفسنا ونستطيع أن نديرها، ونتحكم في ردود أفعالها، بما يعود علينا بالنفع.

ثانياً: إيجاد الجو الصحي المناسب، وطلب المساعدة والمعونة من الأهل، ونحن بدورنا نحتاج إلى التشجيع، وسماع التعزية والتصبر من الآخرين، وكذلك نحتاج إلى من يستمع إلينا ليخفف عنا ما نعانيه لنكف عن الغضب ونكظم الغيظ.

ثالثاً: الصبر على ما يواجهنا من صعوبات في مراحل العلاج، خصوصاً في الأيام الأولى من التصبر، فتحصيل الخير دائماً لا بد فيه من مشقة ومجاهدة للنفس.

رابعاً: إعطاء الفترة العلاجية المدة الزمنية اللازمة، دون استعجال للنتائج، وعلماء النفس يحددون هذا الوقت من ثلاثين إلى أربعين يوماً كمتوسط كاف لتغيير السلوكيات.

خامساً: الصدق مع النفس والتقليب داخلها؛ بحثاً عن أسباب الغضب الحقيقية، فقد تكون الأسباب خفية، ففي الغالب هناك سبب نفسي أو تربوي يجب أن نبحث عنه ولا نغفله.

سادساً: معرفة عاقبة الغضب الوخيمة على النفس والبدن، فالدراسات الطبية والنفسية الحديثة، تفيد أنه بمجرد حدوث الغضب يبدأ الجسم في التحول إلى حالة مزرية.

وأكدت الدراسات أن هذا التوتر القوي يهز الجسم بعمق، فيضعف فيه المناعة الداخلية بشكل ملحوظ، وقد يسبب هذا موت الفجأة الذي أخبرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأنه يكثر آخر الزمان، لكثرة دواعي الغضب ومسبباته.

الموضوع لم ينته، بل تبقى التقنية المناسبة لمواجهة الغضب بعد وقوعه، وذلك بتنفيذ الطرق الآتية:

الطريقة الأولى: الوقاية

يُوصي الرسول صلى الله عليه وسلم بدرء الغضب من بدايته، وتعويد النفس على منعه، أو تخفيفه، ومن ذلك أيضاً: إزالة مسببات الغضب والعمل على علاج البواعث المؤدية للغضب، كما ذكرنا وأهمها الكِبر والعُجب، وهي:

١- تذكير النفس بالعواقب والآثار المترتبة على التكبر، سواء كانت عواقب ذاتية، أو متصلة بالعمل الإسلامي، وسواء كانت دنيوية، أو أخروية، فلعل هذا التذكير يحرك النفس في أعماقها، ويحملها على أن تتوب، وتتدارك أمرها، قبل ضياع العمر وفوات الأوان.

٢- عيادة المرضى، ومشاهدة المحتضرين، وأهل البلاء، وتشييع الجنائز، وزيارة القبور، فلعل ذلك أيضاً يحرك الغاضب من داخله، ويجعله يرجع إلى

ربه بالإخبات، والتواضع.

٣- الانسلاخ من صحبة المتكبرين، ومصادقة المتواضعين المخبتين، فربما تعكس هذه الصحبة بمرور الأيام شعاعها عليه، فيعود له سناؤه وضياؤه الفطريان، كما كان عند ولادته.

٤- مجالسة ضعاف الناس وفقرائهم، وذوي العاهات منهم، بل ومؤاكلتهم ومشاربتهم، كما كان يصنع النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام، وكثير من السلف، فإن هذا مما يهذب النفس، ويجعلها تقلع عن غيها، وتعود إلى رشدها.

٥- التفكر في النفس، وفي الكون، بل وفي كل النعم التي تحيط به، من أعلاه إلى أدناه، مَن مصدر ذلك كله؟ ومَن ممسكه؟ وبأي شيء استحقه العباد؟ وكيف تكون حالنا لو سُلبت منا نعمة واحدة.. فضلاً عن باقي النعم؟ فإن ذلك التفكر لو كانت معه جدية، يحرك النفس، ويجعلها تشعر بخطر ما هي فيه، إن لم تبادر بالتوبة والرجوع إلى ربها.

٦- النظر في سير وأخبار المتكبرين.. كيف كانوا؟ وإلى أي شيء صاروا؟ في كل العصور والبيئات، فإنَّ ذلك مما يخوِّف النفس، ويحملها على التوبة والإقلاع؛ خشية أن تصير إلى نفس المصير، وإن في كتاب الله تعالى، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وكتب التراجم، والتاريخ، خير ما يُعين على العبرة والعظة.

٧- حضور مجالس العلم التي يقوم عليها علماء ثقات نابهون، لا سيما مجالس التذكير والتزكية، فإنَّ هذه المجالس لا تزال بالقلوب حتى ترقَّ وتلين، وتعود إليها الحياة من جديد.

٨- حمل النفس على ممارسة بعض الأعمال التي يتأفف منها كثير من الناس ممارسة ذاتية ما دامت مشروعة.

٩- الاعتذار لمن تعالى وتطاول عليهم بسخرية أو استهزاء، بل ووضع الخد على التراب والصاقه به، وتمكينه من القصاص على نحو ما صنع أبو ذر مع بلال، لما عاب عليه النبي صلى الله عليه وسلم تعييره بسواد أمه.

١٠- تذكير الآخرين بنعمة الله عليهم، وتحدثهم بها- لا سيما أمام المستكبرين- عسى أن يثوبوا إلى رشدهم وصوابهم، ويتوبوا ويرجعوا إلى ربهم، قبل أن يأتيهم أمر الله.

١١- التذكير دوماً بمعايير التفاضل، والتقدم في الإسلام: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (الحجرات: ١٣)، «كلكم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان». رواه أبو داود (٥١١٦).

١٢- المواظبة على الطاعات؛ فإنه إذا واظب عليها، وكانت متقنة لا يراد بها إلا وجه الله، طهرت النفس من كل الرذائل وزكتها. (آفات على الطريق- سيد محمد نوح- ص ١٨٠- بتصرف).

الطريقة الثانية: كظم الغيظ والصبر

وهي مقاومة داخلية لإضعاف انفعال الغضب، وتهدئته وتعويد النفس على امتصاص الغضب، وإمساك النفس على ما فيها من الغيظ، ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ، كظمها عبد ابتغاء وجه الله». (أخرجه ابن ماجه (٤١٨٩)).

العلاج بالكظم: وهي مقاومة داخلية لإضعاف انفعال الغضب وتهدئته وتعويد النفس على امتصاص الغضب، وإمساك النفس على ما فيها من الغيظ قال تعالى: «ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ» (آل عمران: ١٣٤). قوله: «والكاظمين الغيظ» أي: إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم- وهو امتلاء قلوبهم من الحنق، المفضي للانتقام بالقول والفعل- هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية، بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ، ويصبرون على مقابلة المسيء إليهم. (تيسير الكريم الرحمن- السعدي ١٤٨/١).

وقال ابن كثير في تفسيره للآية: (أي: سجيتهم وخلقهم وطبعهم، تقتضي الصفح والعفو عن الناس، ليس سجيتهم الانتقام من الناس). (تفسير القرآن العظيم- ابن كثير ٢١٠/١).

وقال تعالى: «وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ» (الشورى: ٣٧) أي: قد تخلقوا بمكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة، حتى إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله، كظموا ذلك الغضب فلم

ينفذوه، بل غفروه، ولم يقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح، فترتب على هذا العفو والصفح من المصالح ودفع المفاسد في أنفسهم وغيرهم شيء كثير. (تيسير الكريم الرحمن- السعدي ١/٧٥٩).

ومما يساعد المسلم على حسن إدارة غضبه والتدرج في علاجه: الصبر واحتمال الأذى في ذات الله تعالى، وتعويد النفس على الاستجابة والخضوع للحق، وتذكر النماذج الحليمة الصابرة المتواضعة، وإقناع النفس بما يقتضيه العقل والمنطق، ومعرفة المخاطر الصحية لكثرة الغضب، ومناقشة الأفكار غير المنطقية وتصحيحها.

والصبر: هو حبس النفس، ويقال: صبرت نفسي على ذلك الأمر أي حبستها. والتصبر: تكلف الصبر. ومن لم يُرزق خلق الصبر المحمود فإنه عليه أن يدرب نفسه على الصبر في المواقف المختلفة ومن أهمها عند الغضب، ويتكلف ذلك مراراً، ويستعد نفسياً لمواجهة أنواع البلاء ويوطن نفسه على ذلك مستعيناً بالله «وما صبرك إلا بالله»؛ لأنه بغير الاستعانة بالله لن يستطيع شيئاً لأن الله تعالى إن لم ييسره لم يتيسر، وهو مع ذلك كله يتوسل بالعمل الصالح عامة وبالصبر والصلاة خاصة، محاولاً بلا ملل أن يكون من الصابرين، فإن أخفق مرة فليحاول مرة ومرة بلا يأس وليجاهد نفسه على ذلك، مستعيناً بطلب العلم فيما يتعلق بعاقبة الصبر في الدنيا والآخرة، وبالسيرة النبوية وسير الصحابة فهذا هو التصبر الذي يُرزق به الصبر. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: إن ناساً من الأنصار، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده، فقال: (ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر). (أخرجه البخاري (١٤٠٠)).

ومن مواقف النبي صلى الله عليه وسلم في الصبر واحتمال الأذى: حديث خروجه صلى الله عليه وسلم من الطائف، وقد ردوه شر رد.. تقول عائشة رضي الله عنها: إنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: (لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً) (أخرجه البخاري(٣٠٥٩)).

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلت ابنة النبي صلى الله عليه وسلم إليه: إن ابناً لي قبض فائتنا، فأرسل يُقرئ السلام، ويقول: (إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب). (أخرجه البخاري(١٢٢٤)).

وعن صهيب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجباً لأمر المؤمن. إن أمره كله خير. وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن. إن أصابته سراء شكر. فكان خيراً له. وإن أصابته ضراء صبر. فكان خيراً له». (أخرجه مسلم (٢٩٩٩)).

قال ابن تيمية- رحمه الله تعالى-: (ما تجرع عبد جرعة أعظم من جرعة حلم عند الغضب، وجرعة صبر عند المصيبة؛ وذلك لأن أصل ذلك هو الصبر على المؤلم، وهذا هو الشجاع الشديد الذي يصبر على المؤلم، والمؤلم إن كان مما يمكن دفعه أثار الغضب، وإن كان مما لا يمكن دفعه أثار الحزن؛ ولهذا يحمرُّ الوجه عند الغضب لثوران الدم عند استشعار القدرة، ويصفرُّ عند الحزن لغور الدم عند استشعار العجز). (الإمام ابن تيمية- الاستقامة ٢/٢٧٢).

فيجب على المسلم العمل على ترويض النفس، وتربيتها بين الحين والآخر على التحلي بفضائل الأخلاق، وكريم السجايا، وحميد الصفات؛ حتى تعتاد الحلم والصفح، وتألف الصبر والتروي، وتتربى على عدم الاندفاع والتسرع في الرد والانتقام عند الغضب سواء بالقول أو الفعل. وهكذا مرة بعد مرة يُصبح ذلك طبعاً عند الإنسان المسلم مقتدياً فيه برسوله صلى الله عليه وسلم الذي كان يسبق حلمُه غضبَه، وعفوُه عقوبتَه.

هذا، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

باب الفقه

أحكام الصلاة

الحلقة الثالثة

الحالات التي تُكرَه فيها الصلاة

الصلاة عند إجهاد البدن وعند الفتور والنعاس

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

بدأنا في الحلقتين السابقتين بالحديث عن الحالات التي تُكره فيها الصلاة؛ فتكلمنا عن كراهة أداء الصلاة بحضرة الطعام، والصلاة عند مدافعة الأخبثين، ونكمل الحديث عن هذه الحالات:

٣- الصلاة عند إجهاد البدن وعند الفتور والنعاس:

يُندب للمسلم أن يصلي وبه نشاط وحيوية، وذلك حتى يستطيع الإتيان بالصلاة على وجه أكمل وأفضل، أما إذا كان مجهد البدن من أعمال شاقّة أو يمكن أن يدخل عليه الفتور من كثرة العبادة أو غلبه النعاس فيكره له الدخول في الصلاة، والأصل في ذلك ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا نعس أحدكم وهو يصلي فلْيرقدْ حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يستغفر فيسبُّ نفسه» رواه البخاري ومسلم.

وورد في قيام الليل عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قام أحدكم من الليل، فاستعجم القرآن على لسانه، فلم يدر ما يقول، فليضطجع». رواه مسلم.

وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: «دخل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا حبلٌ ممدودٌ بين الساريتين فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبلٌ لزينب، فإذا فترت تعلَّقت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا، حلُّوه، ليُصلِّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فلْيقعد» رواه البخاري ومسلم.

قوله صلى الله عليه وسلم في حديث عائشة رضي الله عنها: (إذا نعس أحدكم) بفتح العين وغلط من ضمها (وهو يصلي) (فليرقد) وفي رواية فلينم وفي أخرى فليضطجع، والنعاس أول النوم والرقاد بالضم المستطاب من النوم ذكره الراغب (حتى يذهب عنه النوم) وهو غشي ثقيل يهجم على القلب فيقطعه عن المعرفة بالأشياء. (فيض القدير- المناوي ١/ ٥٧٤).

وقوله صلى الله عليه وسلم: (يذهب ليستغفر فيسب نفسه) قال الحافظ: معنى يسب يدعو على نفسه، وصرح به النسائي في روايته أي يريد ويقصد أن يستغفر فيسب نفسه من حيث لا يدري مثلاً يريد أن يقول اللهم اغفر لي فيقول: اللهم اعفر لي، والعفر هو التراب فيكون دعاء عليه بالذل والهوان وهو تمثيل والا فلا يشترط.(تحفة الأحوذي- المباركفوري ٢/ ٢٨٣).

أما الشتم فلا محل له هنا، وفي صحيح مسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يُؤَمِّنُون على ما تقولون» قاله في قصة وفاة أبي سلمة حين ضج

ناس من أهله.

وفي مسلم أيضًا من حديث جابر- رضي الله عنه- «لا تدعوا على أنفسكم ولا على أولادكم ولا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم» وفي سنن أبي داود بزيادة قوله: «ولا على خدمكم» وقال في آخره «فيوافق ذلك من الله إجابة» وهذان الحديثان فيمن دعا على نفسه بقصد ذلك، وحديث الباب فيمن جرى على لسانه لغلبة النعاس ونحوه عليه من غير قصد لذلك. (طرح التثريب لأبي الفضل زين الدين العراقي ٣/٨٩).

قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم إلى آخره» قال النووي: هذا عام في صلاة الفرض والنفل في الليل والنهار وهذا مذهبنا ومذهب الجمهور، لكن لا يخرج فريضة عن وقتها، قال القاضي: وحمله مالك وجماعة على نفل الليل لأنه محل النوم غالبا. (شرح النووي على صحيح مسلم ٦/٧٤).

قال الحافظ ابن حجر: "قال المهلب: (إنما هذا في صلاة الليل لأن الفريضة ليست في أوقات النوم ولا فيها من التطويل ما يوجب ذلك)، وقد قدمنا أنه جاء على سبب لكن العبرة بعموم اللفظ فيعمل به أيضا في الفرائض إن وقع ما أمكن بقاء الوقت". (فتح الباري ١/٣٦٥).

ووقع في حديث عائشة في رواية لمحمد بن نصر في قيام الليل قالت: (مرت برسول الله صلى الله عليه وسلم الحولاء بنت تويت فقيل له يا رسول الله إنها تصلي بالليل صلاة كثيرة فإذا غلبها النوم ارتبطت بحبل فتعلقت به، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلتصل ما قويت على الصلاة فإذا نعست فلتنم) وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده برقم ٢٦٣٠٩، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

قلت: وأصل الحديث في الصحيحين، فهذا هو السبب الذي أشار إليه الحافظ ابن حجر بقوله وقدمنا أنه جاء على سبب.

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إذا قام أحدكم من الليل» يحتمل وجهين: (أحدهما) أن القيام هنا على بابه والمراد القيام للصلاة ثم يحتمل على هذا أن يكون القيام على ظاهره وإن لم يشرع في الصلاة ويحتمل أن يراد به القيام للصلاة مع الدخول فيها، ويدل لذلك قوله في حديث عائشة وأنس: «إذا نعس أحدكم في الصلاة».

(ثانيهما) أن يراد بالقيام من الليل نفس صلاة الليل فإنه يقال لصلاة الليل قيام الليل. (طرح التثريب لأبي الفضل زين الدين العراقي ٣/٨٩).

والمقصود من الاستعجام في قوله صلى الله عليه وسلم «فاستعجم القرآن على لسانه» أي ارتج عليه فلم يقدر أن يقرأ كأنه صار به عجمة وثقلت عليه القراءة كالأعجمي لغلبة النعاس عليه. (فيض القدير- المناوي ١/٥٧٤بتصرف).

وقوله صلى الله عليه وسلم «فلم يدر ما يقول»، يحتمل معناه أوجها: (أحدها) أنه لنعاسه صار لا يفهم ما ينطق به.

(والثاني) أنه لا يدري لشدة نعاسه ما بعد اللفظ الذي نطق به حتى يأتي به.

(والثالث) أنه لشدة نعاسه لا يقدر على النطق أصلا وهذه مراتب أخفها الأول وأشدها الأخير. (طرح التثريب لأبي الفضل زين الدين العراقي ٣/٨٩)

وظاهر لفظ الحديث يدل علي اختصاص ذلك بصلاة الليل، لكن المعنى يقتضي أن سائر الصلوات في ذلك سواء وأنه لا فرق بين الفرض والنفل لأن الأصل استواؤهما، والعلة فيهما واحدة، وهو مذهب الجمهور أنه عام في صلاة الفرض والنفل في الليل والنهار والتقييد بالقيام من الليل إنما هو لأن الغالب عليه النعاس في صلاة الليل دون صلاة النهار، وما خرج مخرج الغالب لا مفهوم له، وقال بعض أهل العلم: إن المعنى يقتضي اختصاص ذلك بصلاة النفل لجواز الخروج من صلاة النفل دون الفرض. وما

ذهب إليه الجمهور أرجح.

هل الأمر الوارد في هذه الأحاديث (فلينم، فليرقد، فليضطجع) على سبيل الاستحباب أو الإيجاب؟

ما عليه أكثر أهل العلم أنه على الاستحباب، وذهب البعض إلي الوجوب، والبعض إلي التفصيل، قال زين الدين عبد الرحيم العراقي: وظواهر الأحاديث تقتضي وجوب ذلك، فأما من حيث المعنى فإن كان النعاس خفيفًا بحيث يعلم المصلي الناعس أنه أتى بواجبات الصلاة فإن صلاته صحيحة فلا يجب عليه الخروج منها، وإن كان بحيث لا يعلم ما أتى به من الواجبات فصلاته غير صحيحة فيجب الخروج منها، ثم إن ذهب عنه النوم بأمر آخر غير الاضطجاع من تبرد بماء أو غير ذلك فلا شك أنه لا يجب ذلك لأنه وسيلة إلى ذهاب النوم وقد ذهب، فإذا حصل المقصد سقطت الوسائل، وإن لم يذهب ذلك إلا بالاضطجاع وجب عليه لأنه مقدمة للواجب، وقال أبو زرعة العراقي: والظاهر حمل الأمر في ذلك على الاستحباب مطلقًا، وما دام النعاس خفيفًا فلا وجه للوجوب وإذا اشتد النعاس انقطعت الصلاة لشدته فلا يحتاج إلى إيجاب القطع لأنه يحصل بغير اختيار المصلي. (نقلاً عن شرح طرح التثريب لأبي زرعة العراقي٣/٩٠).

ورده المناوي بقوله: "لا اتجاه له: كيف والمدرك في الوجوب خوف أن يغير كلام الله ويأتي بما لا يجوز من تحريف أو تغيير لمعنى أو وضع بعض أركان الصلاة في غير محل أو فعله على صورة غير مرضية فإذا اشتد النعاس بحيث غلب على ظنه الوقوع في ذلك فوجوب القطع في محل القطع. (فيض القدير- المناوي ١/٥٧٤ بتصرف)

هل محل هذا الأمر إذا لم يكن في فريضة قد ضاق وقتها؟

محل هذا الأمر إذا كان في وقت الصلاة متسع فإن ضاق الوقت بأن لم يبق منه زمن يسع صلاة الفرض فليس له الخروج منها، كذا حمله على ذلك القاضي عياض وقال: إن من اعتراه ذلك في الفريضة وكان في وقت سعة لزمه أن يفعل مثل ذلك وينام حتى يتفرغ للصلاة، فإن ضاق الوقت عن ذلك يصلي على ما أمكنه ويجاهد نفسه ويدافع النوم جهده، ثم إن تحقق أنه أداها وعقلها أجزأته وإلا أعادها (إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ٣/٨٧).

قال زين الدين عبد الرحيم العراقي في شرح الترمذي: وما ذكره هو الذي يمشي على قواعد مذهبنا- أي المذهب الشافعي- كما في مسألة ما إذا قدم الطعام وقد بقي من الوقت ما يسع قدر الصلاة، وفيه وجه حكاه المتولي أنه يأكل وإن خرج الوقت، وهو قول أهل الظاهر، وقد يفرق بين البابين بأن الصلاة بحضرة الطعام لا تؤدي إلى مثل حالة الناعس الذي لا يدري ما يقول، وأن من أداه النعاس إلى هذه الحالة لا يستمر في صلاة الفرض ولا يسرع فيها حتى يكون على حالة يدري أنه أتى بواجبات الصلاة. (نقلاً عن شرح طرح التثريب لأبي زرعة العراقي٣/٩٠).

الحكمة من الأمر بالنوم أو الاضطجاع في الأحاديث:

ورد التعليل بالأمر بالنوم أو الرقاد في حديث عائشة بأنه لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه وقال في حديث أنس: «حتى يعلم ما يقرأ» وقال في حديث أبي هريرة: «فلم يدر ما يقول»، والقدر المشترك في التعليل في هذه الأحاديث خشية التخليط فيما يأتي به من القراءة والدعاء، والأمر في القراءة أشد لوجوبها ولعظم المفسدة في تغيير القرآن. والحث على الإقبال على الصلاة بخشوع، وفراغ قلب ونشاط.

ففي هذا دليل على أن الصلاة لا ينبغي أن يقربها من لا يعقلها ولا يقيمها على حدودها وأن كل ما شغل القلب عنها وعن الخشوع فيها فواجب تركه، واستعمال الفراغ لها بقلب مقبل عليها. (الاستذكار- ابن عبد البر ٢/٨٦).

وللحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله أن يفقهنا في ديننا، ويتقبل صالح أعمالنا.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

قال تعالى: «قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ» (الأعراف: ٢٩).

نصائح للولاة

قال الوليد بن عبد الملك لأبيه: يا أبت، ما السياسة؟ قال: هيبة الخاصة مع صدق مودتها، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها، واحتمال هفوات الصنائع». (العقد الفريد).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(عليكم بلباس الصوف تجدوا حلاوة الإيمان في قلوبكم، وعليكم بلباس الصوف تجدوا قلة الأكل، وعليكم بلباس الصوف تُعْرَفُون به في الآخرة، وإن لباس الصوف يورث القلب التفكر...) حديث موضوع. (الموضوعات لابن الجوزي).

من معاني الأحاديث

هُجرًا «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هُجرًا» أي فُحشًا.

يقال: أهجر في منطقه يهجر إهجارًا، إذا أفحش. وكذلك إذا أكثر الكلام فيما لا ينبغي. والاسم: الهُجر، بالضم. وهجر يهجر هُجرًا. (النهاية لابن الأثير)

من حكمة الشعر

عن الأصمعي قال: سمعت أعرابيًا ينشد:

وإذا أظهرت أمرًا حسنًا... فليكن أحسن منه ما تُسِر

فمُسِرّ الخير موسوم به... ومُسِرّ الشر موسوم بشرّ

(العقد الفريد)

إعداد : علاء خضر

من أقوال السلف

عن أبي العالية قال: من مات على السنة مستوراً، فهو صدِّيق. وكان يقول: الاعتصام بالسنة نجاة»

(السنة للبربهاري).

من هدي رسول الله ﷺ

عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « الريح من روح الله؛ تأتي بالرحمة، وتأتي بالعذاب فلا تسبُّوها، وسلوا الله خيرها، وعوذوا من شرها ».

(الأدب المفرد للبخاري)

من دلائل النبوة

عن السائب بن يزيد قال: ذهبت بي خالتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله! إن ابن أختي وَجِع فمسح صلى الله عليه وسلم رأسي ودعا لي بالبركة، وتوضأ فشربت من وَضوئه، وقمت خلف ظهره فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه فإذا هو مثل زر الحجلة». (جامع الترمذي)

حِكَم ومواعظ

عن يحيى بن معاذ الرازي قال: «هيبة الناس من المؤمن على قدر هيبته من الله، وحياؤهم منه على قدر حيائه من الله، وحبهم له على قدر حبه الله عزوجل».

(شعب الإيمان)

من فضائل الصحابة

عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا عليّ ما داما حيين»

(سنن ابن ماجه).

أثر السياق في فهم النص

الحلقة (٩٩)

حجاب المرأة المسلمة (٩)

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد: ما زال حديثنا متصلا عن الحجاب، فانتهينا بفضل الله تعالى من الكلام عن آيات الحجاب ثم انتقلنا للأحاديث، فذكرنا منها حديثين: الحديث الأول: حديث أمنا عائشة رضي الله عنها: كان الركبان يمرون بنا ونحن مُحْرِمَات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها من رأسها، فإذا جاوزونا كشفناه. الحديث الثاني: حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تنتقب المحرمة ولا تلبس القفازين». وأوردنا سنده، ونستأنف البحث بإذن الله تعالى.

الاستدلال من الحديث:

يستدل بمفهوم المخالفة على أن النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء لذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم المرأة إذا أحرمت أن لا تلبسهما.

ويتفرع عن ذلك سؤالان: السؤال الأول: ما هو مفهوم المخالفة، وهل هو حجة أم ليس بحجة؟

١- المفهوم نوعان:

مفهوم الموافقة، مفهوم المخالفة.

مفهوم الموافقة: هو ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت موافقًا لمدلوله في محل النطق (انظر إرشاد الفحول ١/٣٩٣-٣٩٤) مثال ذلك قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا» (النساء:١٠)؛ فمنطوق الآية تحريم أكل أموال اليتامى، ومفهوم الموافقة تحريم كل صور الاعتداء على أموال اليتامى كإحراقها أو إغراقها أو إتلافها.. ومفهوم الموافقة حجة عند الجمهور.

٢- مفهوم المخالفة:

وهو ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفًا لمدلوله في محل النطق، فيثبت للمسكوت عنه نقيض حكم المنطوق به، مثال ذلك حديث: «وفي كل خمس من الإبل سائمة شاة»، وفيه: وفي كل أربعين شاة سائمة شاة»(صحيح سنن أبي داود وغيره)؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم خص الزكاة بالسائمة (وهي التي ترعى بنفسها ولا تعلف)؛ فدل بمفهوم المخالفة أن المعلوفة من الأنعام لا زكاة فيها.

٣- هل العمل بمفهوم المخالفة حجة؟

عمل به الصحابة وأقره النبي صلى الله عليه وسلم، فعن يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب «فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا» (النساء:١٠١)؛ فقد أمن الناس، فقال: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته (صحيح مسلم)؛ فالآية تدل على أن قصر الصلاة في السفر يكون من أجل الخوف، ومفهوم المخالفة أن المسافر لا يقصر الصلاة إذا كان آمنًا، ولم ينكر النبي صلى الله

عليه وسلم على عمر رضي الله عنه العمل بمفهوم المخالفة، وإنما بين له أن مفهوم المخالفة لا يعمل به هنا في هذه الآية. قال ابن قدامة: وهذا حجة (مفهوم المخالفة) في قول إمامنا (أحمد) والشافعي ومالك وأكثر المتكلمين، وقالت طائفة منهم أبو حنيفة: لا دلالة له، ثم ذكر الأدلة ورجح العمل به. (انظر روضة الناظر ٢/١١٥-١٢١).

السؤال الثاني: هل يستدل بمفهوم المخالفة على وجوب النقاب والقفازين لغير المحرمة؟

لا يستفاد من مفهوم المخالفة في الحديث الوجوب، وإنما يستفاد منه مشروعية النقاب والقفازين للنساء وأن هذا كان معروفًا ومشتهرًا بينهن، وإلا فلماذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم المحرمة عن ارتدائهما؟ وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم الرجال عن ارتداء العمامة والقميص والسراويل حال إحرامهم، فهل يستدل بذلك على وجوب ارتدائها في غير الإحرام؟، وهذا له نظائر في الشرع أن يكون الشيء محرما في وقت، مباحًا في آخر، كالبيع والشراء وقت صلاة الجمعة، فهو محرم في وقت الصلاة، مباح في غيرها، وكالأكل والشرب والجماع في نهار رمضان، فهو محرم بالنهار، مباح في غيره.. وهكذا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مستدلاً من الحديث: «وهذا مما يدل على أن النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء اللاتي لم يحرمن، وذلك يقتضي ستر وجوههن وأيديهن». (مجموع الفتاوى ١٥/٣٧٢).

وقال الشيخ عبد الله بن إبراهيم الجار الله- مستدلاً من الحديث على وجوب النقاب بجامع أن كشف الوجه يؤدي إلى الفتنة: وكشف المحرمة وجهها في حال الإحرام أمام الرجال الأجانب فتنة للناظرين، ومشغلة للحاجين والمعتمرين عن عبادة الله تعالى، وإذا كان كشفه واجبًا على المحرمة، كما ذهب إليه بعض الفقهاء إذا أمنت الفتنة، فإن ستره أوجب، لأن في كشفه فتنة أو أذى. وإباحة كشف الوجه للمحرمة دليل على أن الحجاب له، ولو كان الحجاب لغيره، لما كان لهذه الإباحة معنى. (مسئولية المرأة المسلمة ص٤٥-٤٦).

ومن أهل العلم من استدل من الحديث أن الوجه ليس بعورة، وإلا ما نهاها النبي صلى الله عليه وسلم عن تغطيته في إحرامها، فلو كان عورة ما نهى عن تغطيته. يقول ابن بطال: «والمرأة كلها عورة، حاشا ما يجوز لها كشفه في الصلاة والحج، وذلك وجهها وكفاها، فإن المرأة لا تلبس القفازين محرمة، ولا تنتقب في الصلاة ولا تتبرقع في الحج، وأجمعوا أنها لا تصلي منتقبة ولا متبرقعة، وفي هذا أوضح دليل على أن وجهها وكفيها ليس بعورة». (شرح صحيح البخاري ٢/٣٥).

وكذلك قال ابن عبد البر في الاستذكار ٢/٢٠١، وأبو الوليد الباجي في المنتقى شرح الموطأ ٢/٢٠٠).

ويقول الشيخ الألباني عن الحديث: يدل على أن الانتقاب كان معروفًا، لكنه لا يدل على وجوبه (انظر رسالة حجاب المرأة المسلمة لابن تيمية، تحقيق الألباني هامش ص١٦).

وعلى العموم- والله أعلم- أن الحديث لا يُستفاد منه وجوب النقاب، وإنما يُستفاد منه مشروعيته، أما الوجوب فقد يستفاد من أدلة أخرى.

(فائدة: هل يجوز للمرأة المحرمة أن تغطي وجهها بالنقاب، الجمهور قالوا بالمنع، وأجازه الحنفية وهو رواية عند الشافعية والمالكية، ولم يختلفوا في منعها من ستر وجهها وكفيها بما سوى النقاب والقفازين انظر: فتح الباري لابن حجر ٤/٥٤)، والراجح ما عليه الجمهور لأن الأصل في النهي التحريم، ولا ينتقل عنه إلا بقرينة ظاهرة).

الحديث الثالث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأتاه رجل

فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنظرت إليها؟ قال: لا، قال فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئًا». (رواه مسلم).

وبمعناه وردت أحاديث أخرى منها حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه لنكاحها فليفعل». (مسند أحمد وقال الأرناؤوط: حسن، وحسنه الألباني في المشكاة).

وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا خطب أحدكم امرأة، فلا جناح عليه أن ينظر إليها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبة، وإن كانت لا تعلم» (مسند أحمد وقال الأرناؤوط: صحيح وهو في السلسلة الصحيحة للألباني).

الاستدلال من الحديث:

يقول النووي وفيه (حديث أبي هريرة رضي الله عنه) استحباب النظر إلى وجه من يريد تزوجها، وهو مذهبنا ومذهب مالك وأبي حنيفة وسائر الكوفيين وأحمد وجماهير العلماء، وحكى القاضي عن قوم كراهته، وهذا خطأ مخالف لصريح هذا الحديث ومخالف لإجماع الأمة على جواز النظر للحاجة عند البيع والشراء والشهادة ونحوها، ثم إنه يُبَاح له النظر إلى وجهها وكفيها فقط لأنهما ليسا بعورة، ولأنه يستدل بالوجه على الجمال أو ضده، وبالكفين على خصوبة البدن أو عدمها.. ثم قال: ثم مذهبنا ومذهب مالك وأحمد والجمهور أنه لا يشترط في جواز هذا النظر رضاها، بل له ذلك في غفلتها، ومن غير تقدم إعلام» (انظر شرح النووي على مسلم ٢١٠/٩).

وقال الحافظ في الفتح: قال الجمهور لا بأس أن ينظر الخاطب إلى مخطوبته، قالوا: ولا ينظر إلى غير وجهها وكفيها، وقال الأوزاعي: يجتهد وينظر إلى ما يريد منها إلا العورة. (انظر فتح الباري ١٨٢/٩)؛ فاستدل قوم من الحديث وأمثاله: أن النبي صلى الله عليه وسلم رفع الإثم عن مَن ينظر إلى المرأة بغرض خطبتها، فدل ذلك على إثم مَن ينظر إلى المرأة وهو لا يريد خطبتها، وحيث إن الجمهور على أن النظر يباح للوجه والكفين، فدل ذلك على وجوب تغطيتهما، وإنما أبيح النظر للضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، فلو كانت المرأة كاشفة لوجهها وكفيها فلماذا أذن النبي صلى الله عليه وسلام بالنظر إليها إذن؟ وقال آخرون: إن رفع الإثم عن النظر إلى الوجه والكفين، دل على أنهما ليسا بعورة ولأنهما لو كانا من العورات لما جوَّز النبي صلى الله عليه وسلم النظر إليهما بحال.

ولم يرد في الأحاديث تحديد النظر بالوجه والكفين، لذا تنازع أهل العلم في الموضع الذي يجوز النظر إليه من المخطوبة، فقال الأوزاعي: ينظر إلى مواضع اللحم، وقال داوود: ينظر إلى جميع بدنها، وقال ابن حزم: فينظر إلى ما أقبل منها وما أدبر منها (انظر شرح النووي على مسلم ٢١٠/٩، وفتح الباري ١٨٢/٩).

وأحاديث النظر إلى المخطوبة، ليست نصًا في وجوب النقاب أو عدم وجوبه، وغاية ما فيها أن ينظر الخاطب إلى من يريد خطبتها؛ لأنه أحرى أن يُؤْدَم بينهما؛ كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم العلة من ذلك. بل ربما تكون هذه الأحاديث في جانب من قال أن الوجه والكفين ليسا من العورات، خاصة إذا نظر إليها دون علمها، ويختبئ لها كما وردت آثار في ذلك، فهو سينظر إلى وجه مكشوف وليس مغطى، وإن كان يرد على ذلك، أن ذلك في مكان أمنت أن يراها الرجال فيه فكشفت عن وجهها، والله أعلم.

وللحديث بقية، إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

سبيل المؤمنين في فقه التعامل مع المخالفين

(ضوابط فقه الخلاف وأقسامه)

الحلقة الثالثة

إعداد معاوية محمد هيكل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

ففي حديثنا عن «قواعد فقه التعامل مع المخالفين» نكمل مابدأناه في العدد الماضي بالكلام عن القاعدة الثالثة وهي «ضوابط فقه الخلاف وأقسامه» فنقول وبالله التوفيق.

دلت الأدلة القاطعة من الكتاب والسنة على وجود الاختلاف بين بني البشر وتقدير الله ذلك عليهم، فهو أمر قدري كوني؛ قال الله تعالى: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (هود: ١١٨، ١١٩).

قال ابن كثير رحمه الله: قال الحسن رحمه الله: الناس مختلفون على أديان شتى إلا من رحم ربك، فمن رحم ربك غير مختلف. فقيل له لذلك خلقهم؟ قال: خلق هؤلاء لجنته، وخلق هؤلاء لناره، وخلق هؤلاء لرحمته، وخلق هؤلاء لعذابه. وكذا قال عطاء والأعمش. اهـ.

وقد دلت الأدلة على أن الاختلاف بين الناس واقع لا محالة، وقضاء الله به نافذ لسبق الكلمة منه بتأجيل الفصل والقضاء بين الناس إلى أجل مسمى.

وهذا الاختلاف من قدر الله الذي أمرنا شرعًا أن نفر منه إلى قدر الله بالائتلاف والاجتماع، فندفع القدر بالقدر، وننازع القدر المكروه بالقدر المحبوب، والواجب اتباع الشرع والإيمان به، وليس ترك الشرع والاحتجاج بالقدر.

قال تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» (آل عمران: ١٠٣).

فدلت الآية على أن الاجتماع يكون على حبل الله المنزل من السماء إلى الأرض، وهذا هو الاجتماع المأمور به شرعًا.

وهذا يوضح لنا المنهج الصحيح الذي ينبغي أن يكون عليه الاجتماع، وليس كما يظن البعض أن يجتمع الناس على أي شيء، فهذا وهم كبير أن تجتمع القلوب على غير حبل الله المتين وشرع الله القويم.

وقال تعالى: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ» (آل عمران: ١٠٥).

«فيه إشارة إلى أن الاختلاف المذموم والذي يؤدي إلى الافتراق؛ هو الاختلاف في أصول الديانة الذي يفضي إلى تكفير بعض الأمة بعضاً، أو تفسيقه، دون الاختلاف في الفروع المبنية على اختلاف مصالح الأمة في الأقطار والأعصار، وهو المعبر عنه بالاجتهاد. ونحن إذا تقصينا تاريخ المذاهب الإسلامية لا نجد افتراقاً نشأ بين المسلمين إلا عن اختلاف في العقائد والأصول، دون الاختلاف في الاجتهاد في فروع الشريعة.

«والبينات» هي الدلائل التي فيها عصمة من الوقوع في الاختلاف لو قيضت لها أفهام.

(التحرير والتنوير ج٤/ص٤٣)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ناهيًا عن الاختلاف ومُحذراً: (قال ذروني ما تركتُكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرةِ سؤالِهم واختلافِهم على أنبيائهم) (صحيح مسلم: ١٣٣٧).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تختلفوا فتختلِفَ قلوبُكم» (صحيح الترغيب ٥١٣).

والواجب الشرعي عند الاختلاف يكون بأمرين:

(١) السعي إلى التوحد والاجتماع على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

(٢) محاربة البدع والأهواء والانحرافات المنهجية التي كانت سبباً في تمزيق شمل الأمة وإضعاف وحدتها.

أنواع الخلاف الواقع بين المسلمين:

ينقسم الخلاف الواقع بين المسلمين إلى: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد.

واختلاف التضاد ينقسم إلى: خلاف سائغ (أي معتبر غير مذموم)، وخلاف غير سائغ (أي غير معتبر مذموم).

أولاً: اختلاف التنوع

وهو ما كانت المنافاة فيه لا تقتضي إبطال أحد القولين للآخر؛ لثبوت صحتها في الشرع.

وأمثلة هذا النوع كثيرة منها:

(١) ما جاء عن عبد الله بن أبي قيس قال: (سألتُ عائشة عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم، كيفَ كانَ يوترُ؛ من أوَّلِ اللَّيل، أو من آخره؟ فقالت: كلُّ ذلك قد كانَ يصنَعُ، ربَّما أوترَ من أوَّلِ اللَّيل، وربَّما أوترَ من آخره. فقال: الحمدُ للَّه الَّذي جعلَ في الأمرِ سَعةً. فقلتُ: كيفَ كانت قراءتُه؛ أكانَ يُسرُّ بالقراءة أم يَجهَرُ؟ قالت: كلُّ ذلك كانَ يفعَلُ، قد كانَ ربَّما أسرَّ، وربَّما جَهرَ، قالَ: فقلتُ: الحمدُ للَّه الَّذي جعَلَ في الأمرِ سَعةً. قُلتُ: فَكيفَ كانَ يصنَعُ في الجنابة، أكانَ يغتسلُ قبلَ أن ينامَ، أم ينامُ قبلَ أن يغتسلَ؟ قالت: كلُّ ذلك قد كانَ يفعَلُ، ربَّما اغتسلَ فنامَ، وربَّما تَوضَّأ فنامَ، قلتُ: الحمدُ للَّه الَّذي جعلَ في الأمرِ سَعةً. (صحيح سنن الترمذي، (٢٩٢٤)).

والشاهد من هذا ظاهر، وهو جواز الأمرين، في الوتر، والقراءة، والاغتسال من الجنابة.

(٢) ومن ذلك أيضًا: الاختلاف في وجوه القراءات، وصفة الأذان، والإقامة، وأدعية استفتاح الصلاة، والتشهد، ومحل سجود السهو، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، وتكبيرات الجنازة، ونحو ذلك مما قد شُرِعَ جَميعُه. (ينظر: الاقتضاء (١/١٣٢)، ومجموع الفتاوى (٢٤/٢٤٢).

(٣) ومن هذا الباب: الواجب المخير، مثل: كفارة اليمين، قال تعالى: (فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) (المائدة: ٨٩)، فأي واحد من الثلاثة فعل، من الإطعام، أو الكسوة، أو العتق أجزأه، أما الصيام فلا يجوز الانتقال إليه إلا إذا عدمت الثلاثة.

ثانيًا: اختلاف التضاد:

وهو أن يكون كل قول من أقوال المختلفين يضاد الآخر ويحكم بخطئه أو بطلانه في أصل الحكم الشرعي لا من جهة الفتوى.

ووقوع هذا النوع من الخلاف بين الملل والأديان من المعلوم بالضرورة والمجمع عليه بين المسلمين، ولم يخالف في ذلك إلا الزنادقة والمنافقون الذين ينادون بوحدة الأديان والمساواة بيْن الملل وأنها كلها حق وصواب وأنه لا فرق عندهم بين يهودي ونصراني. وقال تعالى: ((وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ))، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسُ محمد بيده، لا يَسْمَعُ بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصراني، ثم يموتُ ولم يُؤمِنُ بالذي أرْسِلْتُ به، إلا كان من أصحاب النار.» (صحيح مسلم: ١٥٣).

أنواع اختلاف التضاد:

ينقسم اختلاف التضاد إلى خلاف سائغ (أي معتبر وغير مذموم)، وخلاف غير سائغ (أي غير معتبر ومذموم).

أولاً: الخلاف السائغ المُعتَبَر:

وهو ما لا يخالف نصًا من كتاب أو من سُنة أو إجماعًا، أو قياسًا جليًا، وهذا سواء في الأمور الاعتقادية. وهذا نادر. أو في الأحكام بين الفقهاء.

وهذا النوع من الخلاف يرجع إلى تفاوت أفهام العباد، وتفاوت قدراتهم على البحث والاجتهاد.

ضوابط الخلاف السائغ:

(١) خَفاءُ الدَّليلِ الراجحِ معَ قَصدِ الحَق:

كما قال شيخ الإسلام- رحمه الله-: «إنه إذا كان في المسألة نصٌ خَفِيَ على بعض المجتهدين، وتعذر عليهم علمه، ولو عَلِم به لوجبَ عليه اتباعه، ولكنه لما خَفِي عليه اتبع النصَ الآخر، وهو مَنسوخٌ أو مخصُوص، وهو لم يعلم بالدليل المُخصِّص أو الناسِخ أو لم يَصح عندهُ» (مجموع الفتاوى ٢٠/٣٦- ٢٥).

فالعالم قد يراجع المسألة وهو يريد الحق، لكن خَفِي عليه الدليل الواضح الذي يحسم المسألة، فهذا من الخلاف السائغ. وهذا أغلب الخلاف الذي عليه الأئمة الأربعة وغيرهم من علماء الأمة رحمهم الله تعالى، فلا يُظَنُ أبدا بواحد منهم أنه يَتعمَّدُ مُخالفَةَ الدَّليل.

(٢) عَدمُ مخَالفةِ النَّصِ الشَّرعِيَ أو الإجمَاع:

وهو ألا يكون في المسألة نصٌ شرعي واضح، ولا إجماعٌ مُتَيَقَّنٌ مَعلومٌ، فإذا اجتهد الفقيه فيها، وبذل فيها وُسعَهُ، فإن خَالفَ غَيرَهُ من العلماء سواء كانوا سابقين أو معاصرين، فالخلاف يكون سائغاً، كما نصر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وهذا الضابط من أهم الضوابط، ولبيانه أسوق مثالاً قال تعالى: «حُرِّمَت عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكم» فمعلوم أن التعبير بكلمة (تحريم) نص في المسألة، ولا يمكن أن يُنَاقَش فنقول: هل هذا حرامٌ أم مَكرُوه؟ فالنَّصُ واضحٌ وجَليٌ في أعلى درجات الوضوح في دَلالَة الألفَاظ: فلا يُقبَلُ أبداً مخالفة ما جاء فيه نَصُ التحريم، بخلاف الأدلة التي الظاهر منها هو التحريم، وغير ذلك من الدلالات التي هي أقل وضوحاً من النص.

وكذلك مثل النص «الإجمَاع»، فإنَّ الأمَّةَ معصومةٌ أن تجتمع على ضلالة، والإجماع يدخل فيه ما علم من الدين بالضرورة.

(٣) لا يكُونُ الخِلاَفُ سَائغاً إلا من أهلِ العِلم والبَصيرة والاجتِهَاد والفقه في الدِّين:

فلا يفتح باب الاجتهاد على مصراعيه لعوام الناس ولكل شخص من طلاب العلم، بل لابد له من ضوابط. وضابط الاجتهاد: أن يبذل العالمُ الفقيهُ المجتهدُ أقصى وُسعَهُ في تحري الحق وقصده، عندئذ يكون الاجتهاد ويكون التَقَلُبُ بين الأجر والأجرَين كما في الحديث: (إذا حَكَم الحاكمُ فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجرٌ) (صحيح النسائي: ٥٣٩٦).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنواع المجتهدين فقال: «بخلاف الذين أفتوا المشجوج في البرد بوجوب الغسل فاغتسل فمات، فإنه صلى الله عليه وسلم قال: (قتلوهُ قتلَهُمُ الله، ألا سألوا إذْ لم يعلَموا؟! فإنَّما شفاءُ العِيِّ السُّؤالُ).

فأنكر عليهم «اجتهادهم». فهم اجتهدوا عن غير أهلية، فليس عندهم مؤهلات للاجتهاد، ولذلكَ أنكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يقل كما قال في الحديث الآخر: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر)، وإنما قال: (قتلوهُ قتلَهُمُ الله، ألا سألوا إذْ لم يعلَموا؟! فإنَّما شفاءُ العِيِّ السُّؤالُ) فإن هؤلاء أخطأوا بغير اجتهاد إذ لم يكونوا من أهل العلم». (مجموع الفتاوى ٢٠/١٤١).

(٤) لاَ يَكُونُ الخِلاَفُ سَائغاً مَع البَغي:

وذلك أن البغي يعارض قصد الحق الذي هو من لوازم الخلاف السائغ، قال تعالى: «وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إلاَّ من بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ»؛ قال شيخ الإسلام: «والبغي إما تضييع للحق، وإما تعد للحق، فهو إما ترك واجب، وإما فعل محرم، فَعُلِمَ أنه

موجب التفرق هو ذلك».

وقال أيضاً: «وهذا حال أهل الاختلاف المذموم من أهل الأهواء كلهم لا يختلفون إلا من بعد أن يظهر لهم الحق ويجيئهم بالعلم، فيبغي بعضهم على بعض... « (منهاج السنة النبوية: ٥/٣٦٤).

فالشخص الذي يريد أن يبغي على مُناظره أو على مُخالفه يحرص عل الاستدلال بأدلة للانتصار لرأيه أو مذهبه، وهذا البغي يتنافى مع قصد الحق، فقاصد الحق لا بد أن يكون متجرداً عن الهوى.

(٥) لا يكونُ الخِلافُ سائغاً مع ظُهُور الأدلَّة:

وذلك أن الدليل الظاهر يحسم مادة الخلاف، فإن كان الخلاف سائغاً قبل ظهور الدليل؛ فإنه لا يكون كذلك بعد ظهوره، وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «فلا يجوز لنا أن نعدل عن قول ظهرت حجته بحديث صَحيح وَافَقَهُ طَائفةٌ من أهل العلم، إلى قَول آخر قاله عالم يجوز أن يكون معه ما يدفع به هذه الحُجَّة وإن كان أعلم، إذ تَطرُق الخطأ إلى آراء العلماء أكثر من تَطرُقه إلى الأدلة الشرعية؛ فإن الأدلة الشرعية حجة الله على جميع عباده، بخلاف رأي العالم». (مجموع الفتاوى: ٢٠/٢٥٠).

وقال أيضاً في «كتاب الإيمان»: «ولهذا اتفق العلماء على أنه إذا عرف شخصٌ الحقَّ لا يجوز تقليد أحد في خلافه» انتهى.

ولذلك كان الشافعي- رحمه الله تعالى يقول-: « إذا صح الحديث؛ فهو مذهبي «(ابن عابدين في « الحاشية « (١/٦٣). فالدليل الظاهر هو الذي يحسم مادة الخلاف.

تنبيهات مهمة حول مسائل الخلاف السائغ:

إذا تحقق المسلم بعد البحث في المسألة أنها من مسائل الخلاف السائغ؛ فينبغي له أن يعلم أموراً مهمة:

(١) أنـه ليس لـه أن يُنكر أو يعيب على مخالفه، لأنها من مسائل الاجتهاد.

قال ابن رجب- رحمه الله-: « قال إسماعيل بن سعيد الشالنجي: سألت أحمد- أي: ابن حنبل-: هل ترى بأساً أن يصلي الرجل تطوعاً بعد العصر والشمس بيضاء مرتفعة؟ قال: لا نفعله، ولا نعيب فاعله. قال: وبه قال أبو حنيفة. وهذا لا يدل على أن أحمد رأى جوازه، بل رأى أن من فعله متأولاً، أو مقلداً لمن تأوله، لا يُنكر عليه، ولا يُعاب قوله؛ لأن ذلك من موارد الاجتهاد السائغ « انتهى من « فتح الباري « لابن رجب (٤/١٢٧).

(٢) ومن باب أولى ألا يحكم على مُخَالفه بالضَلَال أو البدعة.

قال ابن القيم- رحمه الله- بعد أن ذكر مذاهب العلماء في قنوت الفجر: «فأهل الحديث متوسطون بين هؤلاء (الذين ينكرون القنوت في الفجر مطلقاً) وبين من استحبه عند النوازل، وغيرها، فإنهم يقنُتُون حيثُ قَنَتَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ويتركُونه حيث تَركَه، فيَقتدُون به في فعله وتَركه، ويقولون: فعله سُنة، وتَركُه سُنة، ومع هذا فلا يُنكرون على من دَاوَمَ عليه، ولا يَكرهُون فعلَه، ولا يَرونه بدعَة، ولا فاعلَهُ مُخالفاً للسُنة، كما لا يُنكرونَ على من أنكرَهُ عند النوازل، ولا يَرون تَركَهُ بدعَة، ولا تاركَه مُخَالفاً للسُنة، بل من قَنَت، فقد أحسَن، ومَن تركه فقد أحسَن..» (زاد المعاد ١/١١٥).

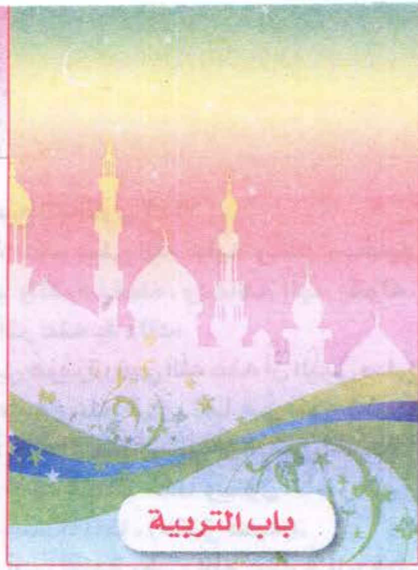
(٣) وهذه المسائل لا يجوز معها الافتراق، ولا الهجر، ولا المعاداة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « مسائل الاجتهاد مَن عمل فيها بقول بعض العلماء؛ لم ينكر عليه ولم يهجر، ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه « انتهى من « مجموع الفتاوى « (٢٠/٢٠٧).

وقال ابن القيم رحمه الله: «وهذا النوع من الاختلاف لا يُوجبُ مُعاداة، ولا افتراقاً في الكلمة، ولا تبديداً للشمل؛ فإن الصَحابة رضي الله عنهم اختلفوا في مسائل كثيرة من مسائل الفروع...» (الصواعق المرسلة: ٢/٥١٧).

والله المُوَفِّقُ والمُستَعَان.

والحَمدُ لله ربِّ العَالَمِين.



التربية على الجود والكرم

إعداد د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَا بَقِيَ مِنْهَا»؟ قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُهَا. قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا» (صحيح جامع الترمذي: ٢٤٧٠)

الجودُ والكرمُ صفتان لله عزَّ وجل، ومن أسمائه الحسنى الكريمُ الجواد، فعَنْ سَعْد بن أبي وقاص رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكُرَمَاءَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجَوَدَةَ، يُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا» (سنن ابن ماجه: ١٧٩٦). قال ابنُ عبد السلام: «الصفاتُ الإلهيةُ ضربان: أحدهما يختصُّ به كالأزليَّة والأبديَّة والغنى عن الأكوان، والثاني يمكن التخلُّق به وهو ضربان: أحدهم: لا يجوز التخلُّق به كالعظمة والكبرياء، والثاني: ورد الشَّرْعُ بالتخلُّق به كالكرم والجود والحلم والحياء والوفاء، فالتخلُّق به بقَدْر الإمكان مُرْضٍ للرَّحمن مُرْغِمٌ للشيطان». (فيض القدير (٢/٢٥١)).

ولما كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم أعلمَ الناس بالله كان أكثرَهم تخلقاً بصفات الله التي يمكن الاتِّصافُ بها ومنها الجود والكرم.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» (متفق عليه).

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّهُ «بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلا كَذُوبًا وَلا جَبَانًا». (صحيح البخاري ٢٨٢١).

وَعَنْ سَهْلٍ رضي الله عنه «أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ فِيهَا حَاشِيَتُهَا أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ قَالُوا الشَّمْلَةُ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِي فَجِئْتُ لأَكْسُوَكَهَا فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صلى الله

عليه وسلم مُحتاجا إليها فخرج إلينا وإنَّها إزارُه فحسَّنَها فلانٌ فقال اكْسُنِيها ما أحسنَها قال القومُ ما أحسنْتَ لبسَها النبيُّ صلى الله عليه وسلم مُحتاجا إليها ثمَّ سألْتَه وعلمْتَ أنَّه لا يَرُدُّ قال إني والله ما سألْتُه لألْبَسَهُ إنَّما سألْتُهُ لتكونَ كفني، قال سَهْلٌ فكانَتْ كَفَنَهُ» (صحيح البخاري ١٢٧٧).

وعَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيه قَالَ: «مَا سُئل رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الإسْلام شَيْئًا إلاَّ أعْطاهُ قَالَ فَجاءَهُ رَجُلٌ فأعْطاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إلَى قَوْمِه فقالَ يا قَوْمِ أسْلمُوا فإنَّ مُحَمَّدًا يُعْطي عَطاءً لا يَخْشَى الفَاقَةَ» (صحيح مسلم: ٢٣١٢).

وعَنْ عَائشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا أنَّهُمْ ذَبَحُوا شاةً، ثم طفقوا يتصدقون منها، ثم سأل النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَا بَقِيَ مِنْهَا»؟ قَالَتْ عَائشَةُ رَضِيَ الله عَنْها: مَا بَقِيَ مِنْهَا إلاَّ كَتِفُهَا. فقَالَ صلى الله عليه وسلم: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتفهَا»، يريد بَقِيَ كُلُّها لنا عند الله، لأننا تصدقنا به، وأما كتفها الذي بقي عندنا فسنأكله فيفنى، وكأنه صلى الله عليه وسلم يشير إلى قول الله تعالى: «مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ» (النحل: ٩٦).

وقد صرح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ أبيه قَالَ: أتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقْرَأُ (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي. وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ» (صحيح مسلم: ٢٤٣٠).

وعَنْ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أيُّكُمْ مَالُ وَارِثِه أحَبُّ إلَيْه مِنْ مَالِه»؟ قَالُوا يَا رَسُولَ الله! مَا مِنَّا أحَدٌ إلاَّ مَالُهُ أحَبُّ إلَيْه. قَالَ: «فَإنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِه مَا أَخَّرَ». (صحيح البخاري ٦٤٤٢).

وهكذا علَّم صلى الله عليه وسلم أصحابَه الجودَ والكرمَ بفعله، ودعاهم إليه بقوله، ومما أثر عنه في ذلك:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فيه إلاَّ مَلَكَان يَنْزِلانِ فَيَقُولُ أحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الآخَرُ اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا» (متفق عليه).

وعَنْ أبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «يَا ابْنَ آدَمَ إنَّكَ أنْ تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلا تُلامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى» (صحيح مسلم ١٠٣٦).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَا تَصَدَّقَ أحَدٌ بِصَدَقَةٍ من طَيِّبٍ وَلا يَقْبَلُ الله إلاَّ الطَّيِّبَ، إلاَّ أخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينه وَإنْ كَانَتْ تَمْرَةً فَتَرْبُو في كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أعْظَمَ مِنَ الجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أوْ فَصِيلَهُ» (متفق عليه).

ولقد كثر في القرآن الكريم الأمرُ بالكرم والجود، قال تعالى: «ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ» (الحديد: ٧)، وقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ» (البقرة: ٢٥٤)، وقال تعالى: «وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ» (المنافقون: ١٠).

ومع الأمر بالجود والكرم يأتي الترغيبُ فيهما ببيان فضلهما وكثرة الأجر والثواب المترتب عليهما ،قال تعالى: «مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ

سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » (البقرة: ٢٦١). وقال تعالى: « الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »(البقرة: ٢٧٤). وقال تعالى:« إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ »(فاطر: ٢٩- ٣٠). وقال تعالى: « وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ » (الرعد: ٢٢- ٢٤).

ذم البخل والبخلاء

وكما أخبر سبحانه أنه يُحبُّ الجوادَ الكريم، فقد أخبر أنه يُبغض البخيل، فقال تعالى:« إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا »(النساء: ٣٦- ٣٧)، كما قال تعالى:« وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ »(التوبة: ٧٥- ٧٧).

وتوعَّد الله البُخلاءَ بأشدِّ العذاب فقال تعالى:« وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » (آل عمران: ١٨٠).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلا « وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ » الآيَةَ (آل عمران: ١٨٠)» (صحيح البخاري ١٤٠٣).

وقال تعالى:« وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ » (التوبة: ٣٤- ٣٥).

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:« مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ». (صحيح مسلم ٩٨٧).

فيا أرباب الأموال! ويا ذوي النعم! « آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٩) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ »(الحديد: ٧- ١١).

والحمد لله رب العالمين.



الحلقة الثانية

ظهور الفاحشة.. الأسباب والعلاج

إعداد: أحمد صلاح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فقد ذكرنا في العدد الماضي أن الفواحش ضررها مستطير، وشرَها عظيم، يأتي شؤمها على الأخضر واليابس، وهي شؤم على المعمورة جميعًا.

وأما عن أسباب ظهور الفواحش وعلاجها، فهو ما سوف نسطره في هذا العدد- إن شاء الله تعالى-، فنقول وبالله التوفيق:

أسباب الفاحشة وعلاجها

لظهور الفاحشة أسباب رئيسة أدت بدورها إلى الوقوع في أصل الفواحش التي حرم الله تعالى، منها: التساهل في الاختلاط بين النساء والرجال ، الخلوة بالمرأة الأجنبية، عدم الالتزام بالضوابط الشرعية في دخول البيوت، التبرج، إطلاق النظر إلى ما حرم الله ، الإفراط في إظهار الزينة -حتى أمام المحارم - عدم التفرقة بين الأولاد في المضاجع ، إدمان مشاهدة الأفلام والمسلسلات التي تحارب الفضيلة ، وتدعو إلى كل رذيلة .... وغير ذلك كثير .

ولما كان الأمر كذلك حرم الله تعالى كل وسيلة تفضي إلى الوقوع في المحرم ، فالشريعة مبنية على سد الذرائع المفضية إلي المعاصي والتحرز مما عسى أن يكون طريقًا إلى جلب المفاسد.

ولما كان إفساد المرأة أحد العوامل- بل أهم العوامل- الرئيسة في انتشار الفواحش فلقد اهتم الإسلام بالمرأة أيما اهتمام، وعُنِيَ بها عناية فائقة، وكفَل لها حقوقها، وبيّن لها عملها وواجبها، لكي تقوم بهذه الواجبات على أتم وجه، صانها وحاطها بكل وسيلة تضمن سلامتها للقيام بدورها، فكانت الوصية بها من آخر وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال: «استوصوا بالنساء خيرًا، فإنهن عوانٍ عندكم». (رواه الترمذي).

وفي الوقت ذاته حذَّرنا من تفلُّتها عن دينها، واتباعها لهواها؛ لأن فسادها وبالٌ وشرٌّ مستطير، فجاء في الحديث: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون؟ فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء». (رواه مسلم).

إن من رحمة الله بعباده أن شرَع لهم التدابير الوقائية التي تقطع دابر الفتنة بين الرجال والنساء؛ صيانةً لأعراضهم، وحمايةً لمجتمعاتهم، وهي المعنية بقوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ» (النور:٢١).

وبيَّن الله تعالى لبني آدم مراد الشيطان منهم فقال: «وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا »

(النساء:٦٠). وقال تعالى: « إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ » (المائدة:٩١).

ومن هذه الخطوات التي حذرنا الله تعالى منها، والتي توقع في أصل الحرام: التبرج، وإطلاق البصر إلى ما حرم الله، ومصافحة النساء الأجانب، والخلوة المحرمة، والتساهل في معاملة النساء والحديث معهم، والاختلاط من غير مراعاة الضوابط الشرعية، وغير ذلك كثير.

لذا حثَّ الإسلام على قرار المرأة في بيتها، صيانة لها وللمجتمع.

ومن صور الحماية والصيانة أيضًا: عدم خضوع المرأة بالقول أمام الرجال الأجانب عنها، قال الله تعالى مخاطبًا أطهر نساء الأرض: « يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا » (الأحزاب:٣٢)؛ لأن خضوع المرأة بالقول يفتح باب زنا الأذن، فكم من رجل عشق امرأة من غير أن يراها، وما ذاك إلا بصوتها، ورقة كلامها.

فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مدرك ذلك لا محالة، فالعينان تزنيان وزناهما النظر، والأذنان تزنيان وزناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه».

ومن ذلك أيضًا: غضّ البصر:

فلقد اتفق العلماء على تحريم النظر إلى جميع بدن المرأة؛ لأن النظر بريد الشر، ولذلك جاء الأمر: «قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ » (النور:٣٠، ٣١)، وذلك لأن إدامة النظر سبيل إلى تحصيل اللذة الحرام، وهو سهم مسموم يصيب القلب.

ويتأكد الحكم أيضًا في حق النساء كذلك، فقد روى مالك عن عائشة أنها احتجبت من أعمى، فقيل لها: إنه لا ينظر إليك، قالت: لكني أنظر إليه.

ومما ينبغي التنبيه عليه: أنه لا فرق بين النظر إلى الرجال والنساء على الحقيقة، والنظر إليهما على شاشات التلفاز، أو صور الجرائد والمجلات، وهل تأتي الكوارث إلا من هذا الجانب؟ فينظر الرجال إلى النساء في كامل زينتهن، وينظر النساء إلى الرجال كذلك، فيحقر بعضهم بعضًا، ويزدري كلٌّ منهم نعمة الله عليه ، ومن هنا يدخل الشر من أوسع الأبواب.

فحرَّم الإسلام على المرأة إظهار زينتها إلا لمن حدَّد الله تعالى، كما في سورة النور، وهم الاثنا عشر صنفًا: «وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (النور:٣١).

كما حرم عليها أن تفشي أسرار فراشها وبيتها، وألا تضع ثيابها في غير بيتها، ونهاها عن مصافحة الرجال الأجانب، كل هذا وأكثر، إنما هو صيانة لها ولمجتمعها، لأن الفواحش إذا نزلت بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

والناظر في أحوال الأمم وأقوامهم يرى أن مؤشرات التقدم والرقي منوطة بالأخلاق، فكلاهما متلازمان مترابطان، فلا قيام لأمة إلا بالأخلاق، فإذا ذهبت أخلاقهم فكبِّر عليهم أربعًا، « إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ » (يونس:٤٤).

نسأله تعالى ألا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، وأن يجنِّب مجتمعاتنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

والحمد لله أولاً وآخرا.

باب الأسرة

أسباب الطلاق والتفكك الأُسَرِي

استئساد الزوج على زوجته

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

لقد أباح الإسلام الطلاق كما أباح الزواج، لكنه شدَّد في طلب الطلاق بغير بأس، ولأسباب واهية؛ ذلك لأن الطلاق آثاره في الغالب مضرة للزوجين، خاصة في حالة وجود أولاد، وكذلك مع رقَّة الدين، وضعف الإيمان، وغياب التدين والوازع الديني. أما في حالة الاضطرار إلى التفريق بين الزوجين فلا جناح عليهما، وقد قال الله تعالى: « وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا » (النساء: ١٣٠).

ولقد انتشرت ظاهرة الطلاق انتشار النار في الهشيم، سواء قبل الدخول أو بعده، والواقع المشاهَد أقوى دليل على ذلك. وقد ذكرنا في الحلقة الماضية السبب الرابع والخامس من أسباب وقوع الطلاق والتفكك الأسري، ونكمل إن شاء الله فنقول:

من أسباب وقوع الطلاق:

سادسًا: استئساد الرجل على زوجته:

والمقصود هنا باستئساد الرجل؛ أن يتعامل مع زوجته بوحشية، ويقسو عليها في معاملتها، إن تلفظ فبالفحش والبذاءة، وإن امتدت يده فبالغلظة والإساءة. إن شتم يهتك ويُجرِّح، وإن ضرب فالضرب المبرِّح. نزعت من قلبه الرحمة، ولم تعرف أخلاقه الشفقة والرأفة، معاملة فظة سافرة، غليظة منفرة، لا تقيم بيتًا ولا تبني أسرة، ولا تربي أولادًا، ولا تؤمِّن مستقبلاً.

وقد تعجَّب الرسول الرحيم صلى الله عليه وسلم من أمثال هؤلاء القساة، ومن أحوالهم المتناقضة، وأوضاعهم غير المستقرة، كيف يعيشون؟ كيف يتذوقون؟ كيف هم أزوج؟

فعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا يَسْتَحْيِي أَحَدُكُمْ أَنْ يَضْرِبَ امْرَأَتَهُ كَمَا يَضْرِبُ الْعَبْدَ؟ يَضْرِبُهَا أَوَّلَ النَّهَارِ، ثُمَّ يُضَاجِعُهَا آخِرَهُ؛ أَمَا يَسْتَحْيِي؟». (مصنف عبد الرزاق الصنعاني: ٤٤٢/٩).

بل إن الروايات الأخرى للحديث استنكرت أن يضرب الزوج زوجته ضرب الحمير والبهائم، وإن كان لا يجوز القسوة حتى على تلك الحيوانات.

ففي رواية البخاري من حديث عبد الله بن زمعة قال:«بِمَ يَضْرِبُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ ضَرْبَ الفَحْلِ، أَوِ العَبْدِ، ثُمَّ لَعَلَّهُ يُعَانِقُهَا» صحيح البخاري (١٥/٨).

فليحذر أهل القسوة والشدة والتنكيل؛ من أن يُحرَموا الرحمة من الخالق الجليل، فقد جاء في حديث جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ» صحيح البخاري (١٠/٨).

ولْيَتَأَسَّ ويقتد بسيد البشرية صلى الله عليه وسلم الذي قال: « خيركم خيرُكم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

وقيل عنه: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِمًا إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». قال النووي: فيه أنَّ ضَرْبَ الزَّوْجَةِ وَالْخَادِمِ وَالدَّابَّةِ وَإِنْ كَانَ مُبَاحًا للأَدَبِ فَتَرْكُهُ أفضل.

ولذلك كره النبي صلى الله عليه وسلم من يقومون بضرب زوجاتهم، ويستسهلون تلك الممارسة. فعن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تضربوا إماء الله» فجاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: قد ذئرن (تجرَّأن) على أزواجهن، فرخص لهم في ضربهن، فأطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون أزواجهن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد طاف بآل محمد نساء كثير، يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم». (سنن الدارمي ح٢٢٦٥، وإسناده صحيح).

ضعف المرأة:

والمرأة أحد الضعيفين، ضعيفة بطبعها وتكوينها، وسماها النبي صلى الله عليه وسلم هكذا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ، وَالْمَرْأَةِ». ابن ماجه ح٣٦٧٨. وحسنه الألباني. ولفظ رِوَايَةِ الْبَيْهَقِيِّ أحرِم (عَلَيْكُم) أيتها الأمة (حق الضعيفين) أي أضيقه وأحرمه على من ظلمهما (الْيَتِيم وَالْمَرْأَة) وَجه تَسْمِيَتهَا بالضعيفين ظَاهر بل محسوس.

وقد كان المختار سيدنا صلى الله عليه وسلم يؤكد على رحمة ضعف المرأة، ويشبهها بالزجاجة التي تتكسر مع أهون الأسباب.

فعَنْ أبي قلابة عن أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَتَى عَلَى أَزْوَاجِهِ وَسَوَّاقٌ يَسُوقُ بِهِنَّ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ، فَقَالَ: «وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدًا سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ» قَالَ: قَالَ أَبُو قِلاَبَةَ: «تَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَلِمَةٍ لَوْ تَكَلَّمَ بِهَا بَعْضُكُمْ لَعِبْتُمُوهَا عَلَيْهِ» صحيح مسلم (١٨١١/٤).

والمراد به: الرفق في السير، لأن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في المشي واستلذته، فأزعجت الراكب وأتعبته، فنهاه عن ذلك لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة، ويُخاف ضررهن وسقوطهن.

وصية الله ورسوله:

قال الله تعالى: «وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا» (النساء: ١٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ». البخاري (٣٣٣١).

وفي حديث آخر: «خيرُكم خيركم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي».

ألا فليعدل الرجل في أهله ونسائه، وليكن من المقسطين حتى ينال عند الله المنزلة العليا،كما رَوَى مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ:«إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا».

فإذا لم تكن الرحمة والرأفة، والعدل والقسط، ساءت الأحوال، وذهب الود والمودة، وبقي الخلاف والشقاق، ووقع الفراق والطلاق.

شبهة والرد عليها:

بعض الرجال يستهتر بضرب النساء جهلاً

واستهانة بحجة أنهن ناقصات عقل ودين؛ والحق أن ذلك عنصرية بغيضة، ومبرر منحرف.

والحق والصواب ما بينه العلماء في شرح هذا الحديث:

عَنْ عَبْد اللَّه بْن عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وسلم قال: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاء تَصَدَّقْنَ وَأَكْثرْنَ منَ الاسْتغْفَار فَإنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْل النَّار قَالَت امْرَأَةٌ منْهُنَّ وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّه أَكْثَرَ أَهْلِ النَّار قَالَ تُكْثرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشيرَ مَا رَأَيْتُ منْ نَاقصَات عَقْل وَدين أَغْلَبَ لذي لُبٍّ منْكُنَّ». قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّه؛ وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْل وَالدِّين؟ قَالَ: «أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْل فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْن تَعْدلُ شَهَادَةَ رَجُل، فَهَذَا منْ نقصان العقل، وتمكث الليالي مَا تُصَلِّي، وَتُفْطرُ في رَمَضَانَ، فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّين».

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: هَذَا الْحَديثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ نُقْصَانَ الدِّين قَدْ يَقَعُ ضَرُورَةً لَا تُدْفَعُ (يعني: لا ذنب على مَن به ذلك، أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ جَبَلَهُنَّ عَلَى مَا يَكُونُ نَقْصًا فيهنَّ؟ قَالَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللَّه بَعْضَهُمْ على بَعْض». وَقَدْ فَضَّلَ اللَّه أَيْضًا بَعْضَ الرِّجَال عَلَى بَعْض، وَبَعْضَ النِّسَاء عَلَى بَعْض، وَبَعْضَ الأَنْبيَاء عَلَى بَعْض، لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُوَ الْحَكيمُ الْعَليمُ) اهـ. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٣/٣٢٦).

وقال النووي رحمه الله: نَقْصُ الدِّين قَدْ يَكُونُ عَلَى وَجْه يَأْثَمُ المرء به، كَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ أَو الصَّوْمَ أَوْ غَيْرَهُمَا منَ الْعبَادَات الْوَاجبَة عَلَيْه بلاَ عُذْر، وَقَدْ يَكُونُ عَلَى وَجْه لاَ إثْمَ فيه كَمَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ أَو الْغَزْوَ أَوْ غَيْرَ ذَلكَ ممَّا لاَ يَجبُ عليه لعذر، وَقَدْ يَكُونُ عَلَى وَجْه هُوَ مُكَلَّفٌ به كَتَرْك الْحَائض الصَّلَاةَ وَالصَّوْمَ. شرح النووي على مسلم (٢/٦٨).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

تهنئة واجبة

يتقدم رئيس تحرير مجلة التوحيد بأخلص التهاني القلبية للدكتور محمد حنفي علي غنيمي؛ لحصوله على درجة «الدكتوراه» في المخ والأعصاب من كلية الطب جامعة الزقازيق، وكان عنوانها: «مضار الاعتلال المشترك للشقيقة وأمراض فرط التحسس بين الصرع المبهم بمستشفيات جامعة الزقازيق».

وقد تكونت لجنة الحكم والمناقشة من السادة: أ. د/يسرية عبد الحميد الطويل، أ.د/آمال صلاح الدين محمد، أ.د/علي محمد سليمان، من كلية طب الزقازيق.

ومن الخارج أ.د/أحمد جمال عزب، جامعة المنصورة.

أخلص التهاني والتبريكات لابني الغالي الدكتور محمد حنفي علي غنيمي، سائلين المولى عز وجل له مزيدًا من التقدم والنجاح.

قصة جبل (ق) المحيط بالأرض في تفسير (ن)، (ق)

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٢١٢)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، ومما ساعد على انتشارها وجودها في كتب السنة الأصلية، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد: علي حشيش

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة

١- قد ذُكرت روايات حول الحروف المقطعة في أوائل السور، أكثرها واهيات وضعها مبتدعة الإسلام، ولقد بيَّن الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٥١/١) الأثر السيئ لهذه الواهيات على الأمة فنقل عن أبي الوفا علي بن عقيل أنه قال: «قال شيخنا أبو الفضل الهمداني: مبتدعة الإسلام والواضعون للأحاديث أشد من الملحدين؛ لأن الملحدين قصدوا إفساد الدين من خارج، وهؤلاء قصدوا إفساد الدين من الداخل، فهم كأهل بلد سعوا في إفساد أحواله، والملحدون كالحاضرين من خارج، فالدخلاء يفتحون الحصن، فهو شر على الإسلام من غير الملابسين له».

٢- ومن هذه الروايات التي تفسد الدين، ما ذكره الإمام النسفي في «تفسيره» (٢٧٩/٤) في تفسير قوله تعالى: «نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ» (القلم:١)، قال: «الظاهر أن المراد هذا الحرف من حروف المعجم، وأما قول ابن عباس: إنه الحوت الذي عليه الأرض واسمه بهموت فمشكل لأنه لا بد له من الإعراب سواء كان اسم جنس أو اسم علم فالسكون دليل على أنه من حروف المعجم».

قلتُ: إن هذا الإشكال الذي ذكره الإمام النسفي ونسبه إلى الإمام الحبر ابن عباس رضي الله عنهما حيث ذكره بصيغة الجزم، حيث قال: «وقول ابن عباس»، ولم يذكره بصيغة التمريض فيقول: «رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما» أو: «بلغنا عن ابن عباس» كما بين ذلك أئمة علوم الحديث في «التدريب» (٢٩٧/١)، ولو حققه النسفي لعلم واضعه.

٣- لقد خلط هذا الوضَّاع الكذاب بين قوله تعالى: «نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ» (القلم:١)، وبين قوله تعالى: «وَذَا النُّونِ» (الأنبياء:٨٧)، فمن إفكه جعل «ن» والتي سكونها دليل على أنها من حروف المعجم، مثل «النون» والتي إعرابها يدل على أنها اسم، حيث قال الإمام القرطبي في «تفسيره» قوله تعالى: «وَذَا ٱلنُّونِ» (الأنبياء:٨٧)، هو لقب يونس بن متى لابتلاع النون إياه، والنون هو الحوت». اهـ.

٤- انظر كيف سوَّلت لهذا الكذاب نفسه أن يفتري على ابن عباس رضي الله عنهما ليفسد الدين بهذه الأباطيل هذا الكذاب ذكره الإمام الذهبي في «الميزان» (٧٥٧٤/٥٥٦/٣): قال: محمد بن السائب الكلبي أبو النصر الكوفي المفسر الأخباري، قال الجوزجاني وغيره: كذاب، وقال ابن حبان: مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه،

ثم قال: والكلبي يروي عن أبي صالح، عن ابن عباس - التفسير، وأبو صالح لم ير ابن عباس، ولا سمع الكلبي من أبي صالح إلا الحرف بعد الحرف، فلما احتيج إليه أخرجت له الأرض أفلاذ كبدها لا يحل ذكره في الكتب فكيف الاحتجاج». اهـ. كذا قاله ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٥٥).

٥- وقال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٥٤): سمعت محمد بن يحيى السجستاني، يقول: سمعت عبد الصمد بن الفضل يقول: سمعت أحمد بن هارون يقول: سألت أحمد بن حنبل عن تفسير الكلبي؟ فقال: «كذب». قلت: يحل النظر فيه؟ قال: «لا». اهـ.

٦- من هذا يتبين أنّ محمد بن السائب الكلبي، يروي عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما التفسير بهذا السند فيظن من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن هذه الواهيات والأباطيل هي من قول ابن عباس رضي الله عنهما وينسبها إلى الإمام الحبر ابن عباس حتى اتهموا ابن عباس رضي الله عنهما أنه أخذها من الإسرائيليات، لذلك كان من أسباب ذكر هذه القصة تبرئة الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما من هذه الأباطيل، والكشف عن العلل التي في سند تفسير الكلبي عن ابن عباس، وهي نفس العلل في التفسير المسمى «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الذي ذكره في مطلع «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس»، فقال: أخبرنا عبد الله الثقة ابن المأمون الهروي، قال: أخبرنا أبي قال: أخبرنا أبو عبد الله، قال: أخبرنا أبو عبيد الله محمود بن محمد الرازي، قال: أخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروي، قال: أخبرنا علي بن إسحاق السمرقندي، عن محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

٧- ومحمد بن مروان الذي روى هذا التفسير عن الكلبي قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٦١٨٥/٢٠٦/١٧): محمد بن مروان السدي الصغير وهو محمد بن مروان بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكوفي روى محمد بن السائب الكلبي صاحب التفسير، قال عبد السلام بن عاصم عن جرير بن عبد الحميد: كذاب، وقال صالح بن محمد البغدادي الحافظ: كان ضعيفًا وكان يضع الحديث أيضًا، وقال أبو حاتم: ذاهب الحديث، متروك الحديث، لا يكتب حديثه البتة، وقال النسائي: متروك». اهـ.

بهذا يتبين أن «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» للفيروزآبادي رواه من طريق: محمد بن مروان السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا السند ذكره الفيروزآبادي (١١٤) مرة قائلاً: «وبإسناده عن ابن عباس».

٨- قال الحافظ السيوطي في «التدريب» (١٨١/١): «أوهى أسانيد ابن عباس مطلقًا: السدي الصغير محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عنه». اهـ.

ثم نقل الحافظ السيوطي: أن الحافظ ابن حجر قال: «هذه سلسلة الكذب لا سلسلة الذهب». اهـ.

٩- كان لا بد من بيان هذه السلسلة سلسلة الكذب حتى تُنسب الأباطيل المنسوبة كذبًا إلى الإمام البحر ابن عباس رضي الله عنهما.

١٠- بهذه السلسلة «سلسلة الكذب» فسرت الحروف المقطعة في أوائل السور ومنها: «نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ» (القلم:١).

وكذلك: «قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ» (ق:١).

ونسبوا هذا الكذب المختلق المصنوع إلى ابن عباس رضي الله عنهما، ونتج عن هذا التفسير مسألتان:

الأولى: تفسير (ن) بأنها (الحوت)، وأنه ليس كالحيتان، حيث جعلوا بينه وبين الأرض علاقة.

والثانية: تفسير (ق) بأنها (الجبل)، وأنه ليس كالجبال حيث جعلوا بينه وبين السماء علاقة.

١١- أما عن المسألة الأولى: وهي تفسير (ن) بأنها الحوت وعلاقته بالأرض، قال الفيروزآبادي في «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» (ص٣٦٣): وبإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى: (ن)، يقول: أقسم الله بالنون وهي السمكة التي تحمل

الأرضين على ظهرها وهي في الماء وتحتها الثور، وتحت الثور الصخرة، وتحت الصخرة الثرى ولا يعلم ما تحت الثرى إلا الله، واسم السمكة ليواش ويقال لوتياء، واسم الثور بهموت، وقال بعضهم: تلهوت، ويقال: ليوتا، وذلك الحوت في بحر يقال له عضواص وهو كالثور الصغير في البحر العظيم، وذلك البحر في صخرة جوفاء، وفي تلك الصخرة أربعة آلاف خرق منها خرق يخرج المياه إلى الأرض». اهـ.

قلت: ولقد انتشر هذا الخبر الباطل في كثير من التفاسير منسوبًا إلى ابن عباس رضي الله عنهما، ومنهم من اختصره، كالإمام النسفي في «تفسيره» (٤/٢٧٩)، حيث نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «(ن) الحوت الذي عليه الأرض واسمه بهموت». اهـ.

قلت: قول الفيروزآبادي وبإسناده عن ابن عباس أي لسلسلة الكذب التي بيناها وبها جاء هذا الخبر الباطل في تفسير (ن) بالحوت الذي يحمل الأرض على ظهره وهو في الماء وتحته الثور.

ثانيا: قصة جبل (ق) ولون السماء

وهي المسألة الثانية: وهي تفسير (ق) في قوله تعالى: «قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ» (ق:١). قال أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي في «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» (ص٣٢٤): «وبإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى: (ق) يقول هو جبل أخضر محدق بالدنيا وخضرة السماء منه».

ثالثا: التحقيق:

١- هذا الخبر الباطل جاء بسند من أوهى أسانيد ابن عباس كما بينا آنفًا بسلسلة تسمى «سلسلة الكذب». اهـ.

٢- قال الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» (ص١١١): «ونحن ننبه على أمور كلية، يعرف بها كون الحديث موضوعًا» تنبيه (١٢) قال: «أن يكون الحديث مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه». ثم قال: «وهذا وأمثاله مما يزيد الفلاسفة وأمثالهم كفرًا». اهـ.

رابعًا: قصة جبل (ق) وترفرف السماء عليه:

أخرج الإمام الحافظ ابن أبي حاتم المتوفى سنة (٣٢٧هـ) في تفسيره المسمى «تفسير القرآن العظيم» (٣٣٠٧/١٠) (ح١٨٦٢٤) قوله: (ق) آية (١) عن ابن عباس قال: خلق الله من وراء هذه الأرض بحرًا محيطًا بها، ثم خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له (ق) السماء الدنيا مترفرفة عليه، ثم خلق الله من وراء ذلك الجبل أرضًا مثل تلك الأرض سبع مرات، ثم خلق من وراء ذلك بحرًا محيطًا بها، ثم خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له (ق) السماء الثانية مترفرفة عليه.

حتى عدّ سبع أرضين، وسبعة أبحر، وسبعة أجبل، وسبع سماوات، قال: وذلك قوله تعالى: «وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ» (لقمان:٢٧). اهـ.

خامسًا: التحقيق:

قال الحافظ ابن كثير المتوفى سنة (٧٧٤هـ) في «تفسير القرآن العظيم» (٤/٢٢١) ط. الحلبي:

١- قوله تعالى: (ق) حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور، كقوله تعالى: (ص)، و(ن)، و(الم)، و(حم)، و(طس)، ونحو ذلك. قاله مجاهد وغيره.

٢- ثم قال الحافظ ابن كثير: «وقد رُوِيَ عن بعض السلف أنهم قالوا: (ق) جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف».

٣- ثم عقب الحافظ ابن كثير على هذا القول فقال: «وكأن هذا والله أعلم من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم، كما افترى في هذه الأمة -مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها- أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وما بالعهد من قدم، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ النقاد فيهم، وشربهم الخمر، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته.

٤- ثم قال الحافظ ابن كثير: «وإنما أباح الشارع

الرواية عنهم في قوله: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» فيما قد يجوِّزه العقل، فأما فيما تحيله العقول، ويحكم فيه بالبطلان، ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل».

٥- ثم قال الحافظ ابن كثير: «وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد وليس بهم احتياج إلى أخبارهم ولله الحمد والمنة، حتى إن الإمام أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمة الله عليه أورد ها هنا أثرًا غريبًا لا يصح سنده عن ابن عباس رضي الله عنهما فقال: حدثنا أبي، قال: حُدثت عن محمد بن إسماعيل المخزومي، حدثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خلق الله من وراء هذه الأرض بحرًا محيطًا بها، ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلاً يقال له (قاف) سماء الدنيا مرفوعة عليه.

ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك الجبل أرضًا مثل تلك الأرض سبع مرات، ثم خلق من وراء ذلك بحرًا محيطًا بها، ثم خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له (قاف) السماء الثانية مرفوعة عليه، حتى عدَّ سبع أراضين، وسبعة أبحر، وسبعة أجبل، وسبعة سماوات، قال وذلك قوله تعالى: «وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ» (لقمان:٢٧)، فإسناد هذا الأثر فيه انقطاع». اهـ.

قلت: ولقد ذكرت كلام الحافظ ابن كثير كلامًا حتى نصَّ الخبر فلا يظن من لا دراية له أني كررت الخبر حيث خرجت الخبر من تفسير الإمام ابن أبي حاتم آنفًا، ولكن بالمقارنة تبين أن:

١- تفسير ابن أبي حاتم (طبعة المكتبة العصرية ببيروت) هذا الخبر محذوف فيه السند، وقال: «عن ابن عباس» بينما عند الحافظ ابن كثير ذكره بسنده عن ابن عباس وتبين أنه أثر غريب لا يصح منقطع.

٢- أما المتن ففي تفسير ابن أبي حاتم لفظه: جبل (ق) السماء (مترفرفة عليه) بينما عند ابن كثير اللفظ الذي نقله عن ابن أبي حاتم: جبل (ق) السماء (مرفوعة عليه).

قلت: واللفظان مترادفان بهما تظهر النكارة الشديدة للمتن؛ حيث جعل سبعة أجبل كل جبل يسمى قاف وكل سماء من السماوات السبع مرفوعة على جبل دائري، وهذا كذب، لأن الله تبارك وتعالى رفع السموات بغير عمد، فقال سبحانه: «اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا» (الرعد:٢)، ولقد بين الله كذب هؤلاء الوضاعين فقال تعالى: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ» (لقمان:١٠).

قلت: فهذا الخبر الباطل ينطبق عليه تمام الانطباق أمرٌ من الأمور الكلية التي قال عنها الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» فصل (٦) «بها يعرف كون الحديث موضوعًا»، فقال: «ومنها مخالفة الحديث صريح القرآن». اهـ.

سادسًا: تبرئة ابن عباس رضي الله عنهما:

بعد بيان هذا الكذب المنسوب لابن عباس ندحض فرية المستشرقين الذين اتهموه بأنه كان يأخذ عن أهل الكتاب ويسألهم، فهذا الافتراء لا يقول به إلا جاهل بالسنة جهلاً مركبًا؛ لأنه جاهل ويجهل أنه جاهل؛ ففي صحيح البخاري ردّ على هذه الفرية، فقد بوب الإمام البخاري في صحيحه بابًا في كتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة» (٢٥) باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء» (ح٧٣٦٣): «كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْدَثُ تَقْرَءُونَهُ مَحْضًا لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ وَغَيَّرُوهُ، وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ، وَقَالُوا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً، أَلاَ يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسَاْئَلَتِهِمْ، لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلاً يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ». وأخرجه أيضًا الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٢٦٨٥) (ح٧٥٣٣) عن ابن عباس قال: «يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء...» الحديث.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

الحلقة (٤٣)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

جماهير أئمة أهل السنة في القرن الخامس الهجري، على إثبات استوائه تعالى على عرشه، وفق نهج النبي عليه السلام وخير القرون.. خلافا لمن أبوا إلا اتباع الجهم والمعتزلة والخوارج في تأويلهم الاستواء بالاستيلاء

إعداد د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فمنذ أن ظهرت مقولة الجهم بن صفوان- الذي انتشرت بدعته بترمذ وأخذ منه المعتزلة والكرامية والخوارج القول بنفي صفات الله الأزلية، وبالغ في تعطيلها لحد أن ترك الصلاة أربعين يوماً قائلاً: (إذا ثبت عندي من أعبده صليتُ له)، فما كان من الوالي سالم بن أحوز إلا أن أنكر عليه ثم ضرب عنقه- وعبارات أئمة أهل السنة والجماعة تتوالى لرد مزاعمه وطريقته في التعطيل، جزئيًا كان هذا التعطيل أم كليًا.. وقد سبق بيان أن طريقته في نفي صفات الله جاءت مخالفة لما كان عليه النبي وصحابته وأرباب القرون الفاضلة، ثم مَن تبعهم من أئمة القرنين الثالث والرابع، ونذكر من أقوال أئمة القرن الخامس في إثبات صفة الاستواء وبطلان تأويلها بالاستيلاء:

أ- طرفًا من نصوص أئمة أهل السنة وأعلام القرن الخامس في إثبات صفة الاستواء وسوقهم الإجماع عليه

قول شيخ أهل خراسان، العلامة ابن فورك ت٤٠٦، فيما حكاه له تلميذه البيهقي في الأسماء والصفات ص٥٦٣: "استوى بمعنى: علا"، وقد أمعن قبلُ في تعطيل صفات الخالق وتأويلها وإخراجها عن ظاهرها، وألف في ذلك: (تأويل مشكل الحديث) وهو ملئ بالتأويلات لأخبار ونصوص الصفات، فألف القاضي أبو يعلى ت٤٥٨ كتابه (إبطال التأويلات لأخبار الصفات) ردًا على تأويلاته، وحصلتْ على إثر ذلك فتنة، عندها أمر الخليفة العباسي (القائم بالله ابن القادر بالله) أن يُشهَر ما عُرف بـ (الاعتقاد القادري) الذي فيه: "وأنه تعالى خلق العرش لا لحاجة، واستوى عليه كما شاء لا استواء راحة"، وأن يُقرأ على الأمة بعد أن أخذ توقيعات العلماء على الإقرار بأنه المعتقد الصحيح، وكان ابن فورك ضمن من أذعن له، وقال عبارته التي ساقها له ابن الجوزي وغيره: "لا اعتقاد لنا إلا ما اشتمل عليه هذا الاعتقاد".

ويؤكد تراجع ابن فورك: ما ذكره شيخ الإسلام في (نقض تأسيس الجهمية) ٢/ ٣٣٢، قال: "المعروف عن ابن فورك، هو ما عليه وأئمة أصحابه: من إثبات أن الله فوق العرش، كما ذكر ذلك في غير ما موضع من كتبه وحكاه عن الأشعري وابن كُلاب وارتضاه"، لكن؛ شأنه شأن غيره ممن تراجعوا- وهذا من شديد ما يؤسف له- تترك مراجعاتهم، ويذاع وينشر ما كانوا عليه قبلُ من ضلال.

هذا، ومما ذكره البيهقي ت٤٥٨ في باب الاستواء، قوله في (الاعتقاد على مذهب

السلف وأصحاب الحديث) ص ٨٩ وقد نقله عنه الذهبي في العلو ص١٨٥-: "قال تعالى: (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ) (طه: ٥)، (ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ) الأعراف/٥٤)، (وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ) الأنعام/٦١)، (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ) النحل/٥٠)، (إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ) فاطر/١٠)، (ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ) الملك/١٦) وأراد: (من فوق السماء) كما قال تعالى: (فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ) طه/٧١)، بمعنى: على جذوع النخل وقال: (فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ) التوبة/٢) أي على الأرض، وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السماوات، فمعنى الآية: أأمنتم من على العرش، كما صرح به في سائر الآيات، وفيما كتبناه من الآيات دلالة على إبطال قول من زعم من الجهمية بأن الله بذاته في كل مكان، وقوله: (وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ) الحديد/٤) إنما أراد بعلمه لا بذاته".

ذلك أن لو كان بذاته "في كل مكان لكان في بطن الإنسان وفمه وفي الحشوش، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خُلق فيها ما لم يكن، ولصح أن يُرغب إليه إلى نحو الأرض وإلى خلفنا ويميننا وشمالنا، وهذا ما أجمع المسلمون على خلافه وعلى تخطئة قائله"، كذا ذكره أبو بكر الباقلاني ت٤٠٣ في (الإبانة) له، وقد نقله عنه الذهبي في العلو ص١٧٣، وكلاماً مثل هذا ذكره في كتاب (التمهيد) له.

وكان الذهبي قد نقل عن القاضي ابن الباقلاني بنفس المصدر وعقيب ما سبق، قوله في كتابه (الذب عن أبي الحسن الأشعري): "وكذلك قولنا في جميع المروي عن رسول الله في صفات الله إذا صح من إثبات اليدين والوجه والعينين، ونقول: إنه يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام، وانه ينزل إلى السماء الدنيا كما في الحديث، وانه مستوٍ على عرشه".. إلى أن قال: "وقد بيّنا دين الأئمة وأهل السنة، أن هذه الصفات تمر كما جاءت بغير تكييف ولا تحديد ولا تجنيس ولا تصوير، كما روي عن الزهري وعن مالك في الاستواء، فمن تجاوز ذلك فقد تعدى وابتدع وضل".

ولك أن تتأمل ثناء الذهبي على ابن الباقلاني، وعزاءه فيه وقوله عنه وقد ابتُليا بما ابتُلينا به: "أين مثله في تبحره وذكائه وبصره بالملل والنحل؟، فلقد امتلأ الوجود بقوم لا يدرون ما السلف، ولا يعرفون إلا السلب ونفي الصفات وردها، صم بكم عتم عجم، يدعون إلى العقل ولا يكونون على النقل، فإنا لله وإنا إليه راجعون"، وعبارة الذهبي التي يعرب فيها هو الآخر عن أسفه لحال الأشاعرة، نصها: " لو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن ولزموها لأحسنوا، ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء، ومشوا خلف المنطق، فلا قوة إلا بالله"، كذا في العلو ص١٦٣.

ب- الأئمة: اللالكائي والطلمنكي والأصبهاني والسجزي والصابوني وابن عبد البر يسوقون الإجماع على إثبات استوائه تعالى على عرشه

ومما جاء عن اللالكائي ت٤١٨ قوله في (شرح أصول السنة) ٣١٩/١: "سياق ما روي في قوله: (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ) طه/٥)، وأن الله على عرشه في السماء": "قال عز وجل: (إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ) فاطر/١٠)، وقال: (ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ) الملك/١٦)، وقال: (وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ) الأنعام/٦١)، فدلت هذه الآيات أنه في السماء وعلمه بكل مكان، رُوي ذلك عن عمر وابن مسعود وابن عباس وأم سلمة، ومن التابعين: ربيعة وسليمان التيمي ومقاتل بن حيان، وبه قال مالك والثوري وأحمد"، وجعل يسوق آثارهم الواردة عنهم في ذلك.

وفي حواره مع المخالفين يقول الحافظ أبو عمرو الطلمنكي ت٤٢٩ في كتابه (الوصول إلى معرفة الأصول)- وهو في العلو ١٧٩-: "أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله: (وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ) الحديد/٤)، ونحو ذلك من القرآن: أنه علمه، وأنه تعالى فوق

السماوات بذاته مستوٍ على عرشه كيف شاء، وقال أهل السنة في قوله (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ) طه/٥): إن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز".

ومما جاء عن أبي نعيم الأصبهاني ت٤٣٠ في كتابه (الاعتقاد) قوله: "طريقتنا طريقة السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة، ومما اعتقدوه: أن الله لم يزل كاملاً بجميع صفاته القديمة، لا يزول ولا يحول.. وأن الأحاديث التي ثبتت في العرش واستواء الله عليه، يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل، وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستوٍ على عرشه في سمائه من دون أرضه".

وممن ساق على ذلك الإجماع من غير من ذكرنا: الحافظ أبو نصر السجزي ت٤٤٤، قال في (الإبانة) له وهو في العلو ص١٨٠: "أئمتنا كسفيان الثوري ومالك وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وسفيان بن عيينة والفضيل وابن المبارك وأحمد وإسحاق، متفقون على أن الله بذاته فوق العرش وعلمه بكل مكان"..

وشيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني ت ٤٤٩، قال في كتابه (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) ص٤٤: "ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله فوق سبع سمواته على عرشه كما نطق به كتابه"، إلى أن قال بعد أن توسع وبدأ في ذكر الآيات ثم ثنى بذكر الأحاديث والآثار: "وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا أن الله على عرشه، وعرشه فوق سمواته، يثبتون من ذلك ما أثبته تعالى ويؤمنون به، ويصدقون الرب في خبره، ويطلقون ما أطلقه سبحانه من استوائه على العرش ويُمِرّونه على ظاهره، ويَكِلون علمه إلى الله".

ولابن عبد البر حافظ المغرب ت٤٦٣، قوله في التمهيد ٤٥/٤ لما انتهى إلى شرح حديث النزول: "هذا حديث صحيح لا يختلف أهل الحديث في صحته.. وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش فوق سبع سماوات كما قال الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله في كل مكان وليس على العرش، والدليل على صحة ما قاله أهل الحق في ذلك" وطفق يسرد آي الاستواء والفوقية والعلو والعروج إليه، ثم أتبع ذلك بقوله: "وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة، وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل (استوى): (استولى)، فلا معنى له، لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة: المغالبة، والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد".. وأردف يقول: "ومن حق الكلام أن يُحمل على حقيقته، حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أُنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع، ما ثبت شيء من العبارات، وجل الله عن أن يُخاطِب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين، والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم، وهو العلو والارتفاع على الشيء"، ثم قال بعد أن ساق في ذلك كلام أبي عبيدة وأبي ربيعة الأعرابي، ورد شبهات من انتصر لتأويل الاستواء:

"ومن الحجة أيضاً على أن الله على العرش فوق السماوات السبع: أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة، رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يُحتاج إلى أكثر من حكايته، لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم"، ثم قال بعد أن رد المزيد من شبهات المعطلة وساق عبارة مالك وربيعة: "وأما احتجاجهم بقوله: (مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ) المجادلة/٧)، فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية، لأن علماء الصحابة والتابعين قالوا في تأويل هذه الآية: هو على

العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يُحتج بقوله" إ.هـ

جـ- وعلى نفس الدرب سار بقية أئمة أهل السنة.. دون أن يشذّ منهم أحد

ومن غير من ذكرنا، قال العلامة محمد بن موهب المالكي ت٤٠٦ في شرح رسالة ابن أبي زيد: "(قوله: إنه فوق عرشه المجيد بذاته)، فمعنى «فوق» و«على» عند جميع العرب واحد، وفي كتاب الله وسنة رسوله تصديق ذلك)"، ثم ذكر النصوص من الكتاب والسنة، واحتج بحديث الجارية وحديث الإسراء، وعقّب يقول: "وقد تأتي لفظة (في) في لغة العرب بمعنى (فوق)، كقوله: (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) الملك/١٥)، و(فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) طه/٧١)، و(ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ) الملك/١٦)، قال أهل التفسير: وهذا قول مالك فيما فهمه عن جماعة ممن أدرك من التابعين، فيما فهموه من الصحابة، فيما فهموه عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن الله في السماء، بمعنى: فوقها وعليها.. فتبين أن علوه فوق عرشه، إنما هو بذاته، لأنه بائن عن جميع خلقه بلا كيف، وهو في كل مكان من الأمكنة المخلوقة بعلمه لا بذاته، إذ لا تحويه الأماكن لأنه أعظم منها، قد كان ولا مكان"، إلى أن قال: "فلما أيقن المنصفون إفراد ذكره بالاستواء على عرشه بعد خلق سماواته وأرضه، وتخصيصه بصفة الاستواء، علموا أن الاستواء هنا غير الاستيلاء، وأقروا بوصفه بالاستواء على عرشه وأنه على الحقيقة لا على المجاز، ووقفوا عن تكييف ذلك وتمثيله، إذ ليس كمثله شيء".

كما جاء في وصية شيخ الصوفية معمر بن أحمد بن زياد الأصبهاني ت٤١٨ إبان سرده لـ "ما كان عليه أهل الحديث وأهل التصوف والمعرفة"، ما نصه: "أحببت أن أوصي بوصية من السنة"، وذكر أشياء إلى أن قال فيها: "وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، والاستواء معقول والكيف مجهول، وأنه بائن من خلقه والخلق بائنون منه، فلا حلول ولا ممازجة ولا ملاصقة.. إلخ"..

كما جاء عن الإمام أبي زكريا السجستاني ت٤٢٢، قوله في رسالته: "لا نقول كما قالت الجهمية: إنه تعالى مداخل للأمكنة وممازج بكل شيء ولا نعلم أين هو؟، بل نقول: هو بذاته على العرش وعلمه محيط بكل شيء، وعلمه وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء، وذلك معنى قوله: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ) الحديد/٤)، وهذا الذي قلناه، هو كما قال الله وقال رسوله" كذا في العلو للذهبي ص١٧٧، ١٧٨.

ولأبي الفتح سليم بن أيوب الرازي الفقيه والمفسر ت٤٤٧، قوله في تفسير: (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) طه/٥): "قال أبو عبيدة: (علا)"، ثم قال بعد أن ذكر آية: (ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) الأعراف/٥٤)، "استوى في اليوم السابع"، قال الحافظ الذهبي في العلو ص١٨٠ معلقاً: "وهكذا سائر تفسيره على الإثبات لا على النفي".

ولشيخ الإسلام البصير باللغة العالم بالتفسير والحديث أبي إسماعيل الهروي ت٤٨١، وتحت عنوان: "باب استواء الله على عرشه فوق السماء السابعة بائناً من خلقه، من (الكتاب) و(السنة)"، قوله في كتابه (الفاروق) وبعد أن ساق الأدلة من الآيات والأحاديث: "وفي أخبار شتى أن الله في السماء السابعة على العرش بنفسه، وهو ينظر كيف تعملون، وعلمه وقدرته واستماعه ونظره ورحمته في كل مكان".. وللفقيه نصر المقدسي ت٤٩٠ قوله في كتاب (الحجة) له: "وأن الله مستو على عرشه، بائن من خلقه كما قال في كتابه"، كذا في العلو ص١٩٠، ١٨٧..

هذا ما تيسر ذكره من نصوص وإجماعات علماء القرن الخامس، وإلا فالكلام عنهم في ذلك لا ينتهي..

وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث..

والحمد لله رب العالمين.



نظرات في السيرة النبوية

الحلقة الثانية

خصائص سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وثمرة دراستها

إعداد: د. سعيد صوابي
الأستاذ بجامعة الأزهر

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

فإن علم السيرة النبوية من أجل وأشرف العلوم الدينية، لأن موضوعه ذات النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته، وسيرته وحياته.

فسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم: فسيحة الأرجاء، متسعة الجوانب والأنحاء: حيث انتشرت في طول الزمان، وشملت عموم المكان: فما بعث الله نبيًا إلاَّ وبشر به قومه، وكلفهم بتصديقه ومؤازرته، والإيمان به ومناصرته: إذا أدركوا زمانه، وشهدوا بعثته وحياته، قال تعالى: « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » (آل عمران: ٨١-٨٢).

ولا يوجد في الدنيا حدثٌ ولا حركة إلاَّ ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه المثل الأعلى، فهو صلى الله عليه وسلم اليتيم المُرَبَّى، والأُمِيُّ المُعَلِّم، والتاجر الصدوق، والزوج المثالي... وصدق الله في وصفه له وثنائه عليه إذ يقول: « وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا » (النساء: ١١٣).

ولا تكاد سورة من سور القرآن تخلو عن ذكر له تصريحًا: كالسور التي اختصت بالحديث عنه صلى الله عليه وسلم، مثل: سورة الضحى، والشرح، والكوثر، والنصر... وأما غيرها من سور القرآن الكريم؛ ففي كُلٍّ منها حديثٌ عنه صلى الله عليه وسلم أو إشارة إليه تلميحًا، مثل سورة الإخلاص فإن أول لفظ فيها ينبئ أنه صلى الله عليه وسلم هو المكلف بالتبليغ، وقد بلَّغ الناسَ كلَّ ما أوحاه إليه ربه: « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » (الإخلاص: ١).

وسورة المسد؛ فإن أبا لهب وزوجه ما حل بهما البوار والخسار إلاَّ بإيذائهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعنادهما لدعوته. كما لا تخلو ترجمة أحد من أصحابه صلى الله عليه وسلم من

حديث له أو سيرة عنه، وقد اجتمع منهم حوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع نحو مائة وثلاثين ألفًا؛ يقتدون به ويسمعون منه ويتلقَّوْنَ عنه، وقد جمع الحافظ ابن حجر أكثر من اثني عشر ألف صحابي وصحابية في كتابه (الإصابة).

ثم إنَّ سيرته صلى الله عليه وسلم ممتدةٌ بعد لحوقه بالرفيق الأعلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ وذلك في شخص كل مؤمن ومؤمنة يُحسن التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم ويتبعُ سنته... فلا يَعمَلُ أحدٌ في الخافقين خيرًا إلاَّ ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الدال عليه، ولا يُتوقَّى في الدارين شرٌ إلاَّ ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد حَذَّرَ منه، قال سبحانه وتعالى: « وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (الحجرات: ٧-٨).

وبهذا: كانت سيرتُه صلى الله عليه وسلم أكبرَ دليلٍ على نُبوته؛ كما قال الإمام ابن حزم في بيان عظمة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ما نصُّه: «وأما محمدٌ صلى الله عليه وسلم فلا يختلف أحدٌ في مشرق الأرض ومغربها أنه صلى الله عليه وسلم أتى إلى قوم لَقَاح (قوم لَقَاح، أي: لم يخضعوا للملوك، ولم يُملكوا، ولم يُصبهُم في الجاهلية سبيٌ. المعجم الوسيط ص:٨٣٤) لا يُقرّون بملكٍ ولا يطيعون لأحد ولا ينقادون لرئيس، نشأ على هذا آباؤهم وأجدادُهم وأسلافهم منذ أُلوف من الأعوام، قد سرَى الفخرُ والعزُ والنخوةُ والكبرُ والظلمُ والأنفةُ في طباعهم، وهُم أعدادٌ عظيمةٌ قد ملؤوا جزيرة العرب... قد صارت طباعُهُم طباعَ السباع، وهم ألوف الألوف؛ قبائلُ وعشائرُ، يتعصبُ بَعضهم لبعض أبدًا، فدعاهم صلى الله عليه وسلم بلا مالٍ ولا أتباع؛ فلم يطعه قومه؛ بل خذلوه وعادوه... ثم تبدلتْ طبائعُهم بقدرة الله تعالى من الظلم إلى العدل ومن الجهل إلى العلم ومن الفسق والقسوة إلى العدل العظيم... وأسقطوا كلهم أوَّلُهم عن آخرهم طلب الثأر، وصحب الرجُل منهم قاتل ابنه وأبيه وأعدى الناس له: صحبة الإخوة المتحابين؛ دون خوف يجمعهم، ولا رياسة ينفردون بها.. ولا مال يطلبونه، قال تعالى: «لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (الأنفال: ٦٣).

وأيضًا: فإن سيرة محمد صلى الله عليه وسلم لمن تدبرها؛ تقتضي تصديقَهُ ضرورةً، وتشهد له بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقًا، فلو لم تكن له معجزةٌ غيرَ سيرته صلى الله عليه وسلم لكفى؛ وذلك أنه صلى الله عليه وسلم نشأ كما قلنا في بلاد الجهلِ لا يقرأ ولا يكتب، ولا خرج عن تلك البلاد قط إلاَّ خرجتين، إحداهما: إلى الشام وهو صبي مع عمه إلى أول أرض الشام ورجَعَ، والأخرى أيضا: إلى أول الشام ولم يطل بها البقاء، ولا فَارَقَ قومَه قط، ثم أوطأه الله تعالى رقاب العرب كلها فلم تتغير نفسُهُ ولا تغيرت سيرته صلى الله عليه وسلم إلى أن مات؛ ودرعه مرهونة في شعير لقوت أهله أصواع ليست بالكثيرة، ولم يبت قط في ملكه دينارٌ ولا درهمٌ، وكان يأكل على الأرض ما وجد، ويخصف نعله بيده، ويرقَعُ ثوبه، ويؤثرُ على نفسه... وهذا أمرٌ لا تسمح به نفسُ ملكٍ من ملوك الأرضِ؛ ولا أحد من أهل الدنيا من أصحاب بيوت الأموال بوجه من الوجوه» (الفِصَل في الملل لابن حزم: ١/٣٤١-٣٤٣ بتصرف).

فالله جل جلاله هو المتفضل على نبيه صلى الله عليه وسلم بكل خير، والعاصمُ له صلى الله عليه وسلم من كل شر، قال تعالى: « وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا » (النساء: ١١٣).

وكفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عزًا وتكريمًا... ما خصَّه به ربه في الدنيا والآخرة؛ كما في قوله سبحانه وتعالى: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» (سورة الكوثر: ١-٣).

ومن ثَمَّ: افْتَرَضَ الله على المؤمنين محبته صلى الله عليه وسلم وأوجب عليهم طاعته، قال تعالى: « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ » (آل عمران: ٣١- ٣٢)، وقال سبحانه: « النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ » (الأحزاب: ٦).

وأخرج الشيخان وغيرُهما من حديث أنس بن مالك قال: قَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم:

« لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْه مِنْ وَالده وَوَلَده وَالنَّاس أَجْمَعِينَ»، وفي رواية لمسلم: « لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْه مِنْ أَهْله وَمَاله وَالنَّاس أَجْمَعِينَ».

وعند البخاري وغيره عن عبدالله بْنَ هشام قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ آخِذٌ بِيَد عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله! لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ مِنْ نَفْسي، فَقَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: « لا وَالَّذي نَفْسي بِيَده؛ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسكَ » فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَالله لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسي، فَقَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: « الآنَ يَا عُمَرُ».

قال القاضي عياض وغيره: « المحبة ثلاثة أقسام: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد، ومحبة استحسان وموافقة كمحبة سائر الناس، فجمع الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أصناف المحبة، وحقق فيه كل أسبابها، وكل من استكمل الإيمان: علم أن حق النبي صلى الله عليه وسلم آكدُ عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين، لأنه الهادي من الضلال والمنقذ من النار، ومن محبته صلى الله عليه وسلم: نصرةُ سنته، والذبُّ عن شريعته، وتمني حضور حياته: حتى يبذل نفسه وماله فداءً له صلى الله عليه وسلم» (شرح النووي لصحيح مسلم: ٢١٩/١، وفتح الباري: ٥٨/١؛ ٦٠).

ولذا كانت دراسة السيرة النبوية: ليحقق المسلم في نفسه الأسوة في النبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء به صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً ومنهجًا وسلوكًا وآدابًا وأخلاقًا... وليؤصِّل كل مؤمن في قلبه الحبَّ للنبي صلى الله عليه وسلم بمعرفته لأفضاله وخصائصه وصفاته الخَلْقية منها والخُلُقية، وإن كانت الصفات الجسمية لا يستطيع أحد أن يتأسى فيها بأحد، لأن الخَلْق بيد المصور سبحانه، لكن حُسن الصورة وكمال الهيئة: أحد أسباب المحبة التي تُتَمِّمُ عناصرَها وتَجمعُ أسبابها؛ إذ الحب يكون: لجلب نفع، أو لدفع ضرر، أو لصفة في الشيء ذاته، وقد تحققت هذه الثلاثة واجتمعت في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفاته.

ومن هنا: كانت دراسة الخصائص والميزات، والخوارق والمعجزات والأوصاف الخَلْقية للنبي محمد خير البرية: مصاحبة لدراسة الأحداث والعبادات، والأحوال والمعاملات، والصفات الخُلُقية التي بلغ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمى الدرجات، حتى أثنى عليه ربُّهُ واصفًا ومادحًا بقوله: « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » (القلم: ٤).

ومما يزيد هذا العلم رفعةً وسموًا، وتقديرًا وعلوًا: أن دراسته التحليلية، وقضاياه الأساسية: مستمدةٌ من صريح القرآن الكريم والأحاديث النبوية الحسنة منها والصحيحة؛ التي تجمعُ عناصر البحث وجزئياته وتستوفي قضاياه وموضوعاته، وسرد وقائعها مستفادٌ كذلك من المقبول من الأخبار، والثابت المروي من الآثار؛ بعيدًا عن كل زيفٍ ودخيلٍ، أو شبَهٍ وأباطيلَ، ونقيًا من كل ما جمعه حاطبو الليل من المؤرخين، أو دسه أعداء الإسلام من المستشرقين، وغيرهم من الحانقين الشانئين لهذا النبي وهذا الدين، وإن دعت حاجة لنقل شبهة فإني أعقِّبُ عليها بما يدحضها ويُزيلها.

وبالرغم من وفرة هذه الخصائص، وكثرة تلك الميزات للسيرة النبوية: فإن العجز ملازمٌ لكل مَن كتب فيها، والقصور واضحٌ في كل مَن حاول جمعها؛ وذلك بسبب وفرة الكمالات في كل حال من أحواله صلى الله عليه وسلم، وكثرة الفضائل في كل شأن من شؤونه صلى الله عليه وسلم، وكل ما دُوِّن من سيرته، وصُنِّف في شمائله: إنما هو محاولة للتعرف على حقيقة قدره العظيم وخُلُقه الكريم، وكماله البشري ووصفه الزكي، وغير ذلك من أحواله وشمائله صلى الله عليه وسلم. **وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.**

باب القراءات القرآنية

الحلقة الخامسة

تراجم أئمة القراءات

الإمامان حمزة الزيات وخلف البزار

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد،

فلا يزال الحديث متصلاً عن ترجمة أئمة القراءات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

حمزة الزيات:

هو حمزة بن حبيب بن عُمارة بن إسماعيل الإمام أبو عُمارة الدؤلي التيمي مولاهم القارئ العلامة، مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي الزيات، أحد القراء السبعة، لقب بالزيات لأنه كان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان، ويجلب الجبن والجوز منها إلى الكوفة.

ولد سنة ثمانين، وأدرك الصحابة بالسن لا بالأخذ.

قرأ القرآن عرضًا على الأعمش، وابن أبي ليلى، ومنصور، وأبي إسحق السبيعي، وغيرهم.

وحدَّث عن طلحة بن مصرف، وحبيب بن أبي ثابت، والحكم، وعمرو بن مرة، ومنصور، وغيرهم، وحديثه مخرَّج في صحيح مسلم وفي السنن الأربعة.

وقرأ عليه: الكسائي، وسليم بن عيسى-وهما أجلّ أصحابه- وسفيان الثوري، وقد عرض عليه القرآن أربع عرضات، وشريك، وأبو الأحوص، وجرير بن عبد الحميد، وزائدة بن قدامة، ويوسف بن أسباط، وابراهيم بن أدهم، وغيرهم.

واليه صارت الامامة في القراءة بعد عاصم والأعمش.

ثناء العلماء عليه:

قال الإمام الذهبي: «كان حجة، قيمًا بحفظ كتاب الله، حافظًا للحديث، بصيرًا بالفرائض والعربية، عابدًا خاشعًا متبتلاً قانتًا لله، ثخين الورع، عديم النظير».

قال الإمام الشاطبي-رحمه الله-:

وحمزة ما أزكاه من متورع

إمامًا صبورًا للقرآن مرتلا

قال أبو عبيد: حمزة هو الذي صار عُظم أهل الكوفة إلى قراءته.

وكان الأعمش إذا رأى حمزة قد أقبل قال: (وبشِّر المخبتين)، هذا حبر القرآن.

وقال محمد بن فضيل: ما أحسب أن الله يدفع البلاء عن الكوفة إلا بحمزة.

وقال الكسائي عنه: هو امام من أئمة المسلمين، وسيد القراء والزهاد.

قال أسود بن سالم: سألت الكسائي عن الهمز والإدغام ألكم فيه إمام؟ قال: نعم، حمزة كان يهمز ويكسر، وهو إمام لو رأيته لقرت عينك من نُسكه.

وقال أبو حنيفة لحمزة: شيئان غلبتنا عليهما، لسنا ننازعك فيهما: القرآن والفرائض.

وقال عبيد الله بن موسى: ما رأيت أحدًا أقرأ من حمزة.

وما ورد من طعن بعض الأئمة على قراءته فيجاب عليه بأنهم سمعوا من نقل قراءته وبالغ في تحقيق الهمز أو الإمالة حتى خرج عن حد القراءة الصحيحة وكان حمزة رحمه الله ينكر على من فعل ذلك، ويقول لمن يفرط عليه في المد والهمز: لا تفعل أما علمت أن ما كان فوق البياض فهو برص، وما كان فوق الجعودة فهو قطط، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة، وقال الإمام الذهبي: «والآن فقد انعقد الاجماع على صحة قراءة حمزة، ولله الحمد».

وكان شعيب بن حرب يقول لأصحاب الحديث: «ألا تسألوني عن الدر، قراءة حمزة».

من أخلاقه وأحواله:

الورع: ختم عليه رجل من أهل حلوان من مشاهيرهم، فبعث إليه بألف درهم، فقال لابنه: قد كنت أظن لك عقلا، أفآخذ على القرآن أجرًا، أرجو على هذا الفردوس.

وقال خلف بن تميم: مات أبي وعليه دَيْن، فأتيت حمزة ليكلم صاحب الدَّيْن، فقال لي: ويحك إنه يقرأ

عليَّ، وأنا أكره أن أشرب من بيت من يقرأ عليَّ الماء.

كثرة التلاوة: قال حمزة: نظرت في المصحف حتى خشيت أن يذهب بصري.

طول الصلاة: قال عبيد الله بن موسى: كان حمزة يقرئ القرآن حتى يتفرق الناس، ثم ينهض فيصلي أربع ركعات، ثم يصلي ما بين الظهر والعصر، وما بين المغرب والعشاء، وحدثني بعض جيرانه أنه لا ينام الليل، وأنهم يسمعون قراءته يرتل القرآن.

وأما ما ورد عن رؤيته لله عز وجل في المنام فلم يثبت إسناد ذلك، وهو منكر جدًا؛ قاله الذهبي.

من أقواله:

ما قرأت حرفًا من كتاب الله إلا بأثر.

وفاته:

توفي سنة ستة وخمسين ومائة.

وقد روى خلف وخلاد عن حمزة بواسطة سليم بن عيسى.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

روى خلف عنه وخلاد الذي
رواه سُليم متقنا ومحصلا

سليم بن عيسى:

هو سليم بن عيسى بن سليم بن عامر بن غالب الإمام أبو عيسى، ويقال أبو محمد الحنفي مولاهم الكوفي المقرئ، صاحب حمزة الزيات وأخص تلامذته به، وأحذقهم بالقراءة وأقومهم بالحروف وهو الذي خلف حمزة في الإقراء بالكوفة.

قرأ عليه خلف بن هشام البزار، وخلاد بن خالد الصيرفي، وأبو عمر الدوري، وعدد كثير حتى إن رفقاءه في القراءة على حمزة قرؤوا عليه لاتقانه.

قال خلف: قرأت على سليم مرارًا، وسمعته يقول: قرأت على حمزة عشر مرات.

توفي سنة ثمان وقيل تسع وثمانين ومائة.

خلف البزار (١٥٠-٢٢٩هـ)

هو الراوي عن سليم عن حمزة وأحد القراء العشرة، وهو خلف بن هشام بن ثعلب الإمام أبو محمد البغدادي البزار، له رواية عن حمزة بواسطة سليم، وله اختيار وقراءة تنسب إليه.

قرأ على سليم عن حمزة.

قرأ عليه: أحمد بن يزيد الحلواني، وإدريس بن عبد الكريم الحداد، وغيرهم.

وسمع من مالك، وأبي عوانة، وحماد بن زيد، وشريك، وطائفة.

وحدث عنه: مسلم في صحيحه، وأبو داود، وأحمد بن حنبل، وأبو زرعة، وأبو يعلى الموصلي، وأبو القاسم البغوي، وعدد كثير.

ثناء العلماء عليه:

وثّقه يحيى بن معين والنسائي.

وقال الدارقطني: كان عابدًا فاضلاً.

وقال الحسين بن فهم: ما رأيت أنبل من خلف بن هشام، كان يبدأ بأهل القرآن، ثم يأذن للمحدثين

من فضائله:

قال خلف- رحمه الله-: أشكل عليَّ باب من النحو، فأنفقت ثمانين ألف درهم حتى حذقته.

وقال: حفظت القرآن وأنا ابن عشر سنين.

إسحاق الراوي عن خلف:

هو إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله أبو يعقوب المروزي ثم البغدادي الوراق، روى عن خلف اختياره وقام به بعده. توفي سنة ٢٨٦هـ.

إدريس الراوي عن خلف:

هو إدريس بن عبد الكريم الحداد، أبو الحسن البغدادي، إمام ضابط متقن ثقة، روى عن خلف روايته واختياره.

أقرأ الناس ببغداد، وقرأ عليه: أحمد بن بويان، وابن شنبوذ، والحسن بن سعيد المطوعي، وآخرون

توفي سنة ٢٩٢ وقيل سنة ٢٩٣هـ.

خلاد الراوي عن سليم عن حمزة:

هو خلاد بن خالد، ويقال ابن خليد، ويقال: خلاد بن عيسى، الشيباني الصيرفي الكوفي، إمام في القراءة ثقة عارف محقق.

يكنى أبا عيسى، ويقال: أبو عبد الله.

كان صدوقًا في الحديث والقراءة.

أخذ القراءة عرضًا عن سليم وهو من أضبط أصحابه وأجلّهم.

قرأ عليه: محمد بن شاذان الجوهري، ومحمد بن الهيثم، والقاسم بن يزيد الوزان، وغيرهم.

وحدَّث عنه أبو زرعة وأبو حاتم. توفي سنة عشرين ومائتين.

وللحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن.

مشروعية الخلاف

إعداد د. أحمد سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

من نيروبي عاصمة كينيا الخضراء أكتب هذه المقالة، والتي عقدت العزم أن تكون- كما ذكرنا- عن (الخلاف أصوله وضوابطه)، وستدور هذه المقالات بإذن الله تعالى حول محاور عشرة:

المحور الأول: مشروعية الخلاف.

المحور الثاني: أسباب وقوع الخلاف.

المحور الثالث: شروط قبول الخلاف.

المحور الرابع: صفات مَن يُعتبر بقولهم في الخلاف.

المحور الخامس: التلفيق وواقعية الخلاف.

المحور السادس: أنواع المسائل الشرعية وأصلها بالخلاف.

المحور السابع: ما يجب عند الخلاف.

المحور الثامن: أقسام الخلاف وحكم كل قسم.

المحور التاسع: ضوابط التعامل مع المخالف.

المحور العاشر: الآثار المترتبة على الخلاف.

وليكون المراد على هذه المحاور العشرة بيان لكيفية الفكر ومجالاته عند المسلمين، لا الفكر المزعوم الهدّام الذي يزعم صاحبه أنه صاحب فكر إسلامي.

فكلامنا في هذه الحلقة سيدور حول المحور الأول؛ ألا وهو: (مشروعية الخلاف).

اعلم أولاً أيها القارئ الكريم أن الله تعالى أودَع في قلب كل إنسان أنه يُدرك بها الصالح من الطالح، ألا وهي آلة العقل؛ حيث قال الله تعالى في آية الحج: « أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا » (الحج:٤٦) الآية.

وجعل الله تبارك وتعالى هذه الآية مناط التكليف؛ حيث لا تكليف على مجنون، كما في الحديث: «رُفِع القلم عن أمتي في ثلاث»-«رواه أبو داود(٤٣٩٨) والنسائي (٣٤٣٢) وابن ماجة (٤١-٢)». الحديث. منهم: «المجنون». فالمجنون لا تكليف عليه بالاتفاق، وحتى وإن كان جنونه في وقت محدد، ثم أنعم الله تعالى عليه بإزالة هذا الجنون، ففي الوقت الذي كان فيه على جنون لا تكليف عليه.

ثم لا بد أن نُدرك أن هذه الآية تتفاوت من إنسان لآخر، فليس بالضرورة أن تكون العقول واحدة، ما تفهمه أنت، قد لا أفهمه أنا، والعكس.

فالعقول متفاوتة حتمًا، ليست متساوية في الفهم، وما تعقله أنت، قد لا أعقله أنا، والعكس، فهذه الفطرة التي فطر الله تعالى عليها هذه العقول.

ولهذا كان التكليف على قدر الطاقة والاستطاعة، كما حكم رب العزة بقوله في هذه الآية: « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » (البقرة:٢٨٦)، وفي موضع آخر: « إِلَّا مَا آتَاهَا » (الطلاق:٧).. وهكذا دواليك.

وهذا منطقيًا صحيح؛ حيث القاعدة المنطقية تقول: «الحكم عن الشيء فرعٌ من

تصور الشيء».

فطالما تصور الأشياء يختلف؛ إذن الحكم عليها يختلف.

وهذا- اختلاف التصور- يكون حقيقة لأن كل من يسلك مسلكًا في التصور، يقول المناطقة: يتصور الناس الأشياء: إما عن طريق الحس، أو من طريق التخيل، أو عن طريق التعقل.

فكل منا يأتي بتصوره للشيء بالطريق الذي يسلك، فينتج الخلاف.

فأخرجها لنا قاعدة تقول: «حتمية الخلاف موجودة لتفاوت إدراك العقول». ولهذا صرحت النصوص بوجود الاختلاف، وأنه أمر فطري، كقوله تعالى: «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ» (هود:١١٨).

وكالنصوص التي وردت تحكي عن الخلاف بين صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم أجمعين، وقد عقد ابن القيم مقدمة أكثر من رائعة لكتابه الماتع «إعلام الموقعين عن رب العالمين»، جمع فيها من مثل هذه النصوص والوقائع التي كانت بين الصحابة الكرام، وكيف تعاملوا معها في حياتهم، مما يجعلنا نقف مع هذه النصوص الواجب علينا تدبرها والعمل بها في حياتنا، لنتقبل الخلاف بضوابطه.

فنقف مثلاً مع حادثة عمار وعمر رضي الله عنهما حينما أصبحا الاثنين على جنابة واختلفوا في كيفية صلاة الصبح.

وخرج لنا من هذه الحادثة حكم التيمم الذي ندين به إلى قيام الساعة.

وأيضًا حادثة الخلاف على صلاة العصر في بني قريظة التي أخرجت لنا حكم الجمع بين الصلوات (الظهر والعصر)، وغيرها من الحوادث والوقائع التي أخرجت لنا أحكامًا فقهية نتعبد بها، بل وجعل الإجماع ينعقد على قبول قدر من الاختلاف الذي وقع آنذاك إلى اليوم بل وإلى قيام الساعة.

فحتمية الخلاف واقعة لفطرية المختلفين- كما بينا- ولهذا فالأصل أن المختلفين عليهم تقدير ذلك والبعد عن التعصب والنصرة للنفس والهوى.

فعندما دخل الشافعي مصر وكان المذهب السائد فيها مذهب المالكية، حدث خلاف بينه وبين أئمة المذهب (يونس الصفدي)، على مسألة: لمس المرأة ينقض الوضوء أم لا؟

فالشافعي يرى أنه ينقض، والثاني لا يرى ذلك. ومع أن الراجح مع الثاني إلا أن انتصاره لنفسه جعله يترك المجلس وينصرف فذهب له الشافعي؛ لأن الأخوة أقوى من الخلاف، وذكرهً بذلك.

ولهذا أقول دائمًا: إن علم الخلاف والكلام، فيه يُورث الألفة بين المسلمين، لا كما نرى الآن أنه يورث العداء والشقاق بينهم، فأصبح سببًا في تقطيع الأواصر والبغض الشديد المُنافي للدين، فأصبحنا به أكثر تشرذمًا من السابق، فاستغله العدو ليضرب وحدة المسلمين في كل مكان، فلا بد أن نعقل أن فطرية الخلاف أمر حتمي واقعي؛ لاختلاف الآلية التي نُدرك ونفهم بها، آلية الإدراك: العقول.

فاختلاف العقول يؤدي إلى اختلاف المعقول.

وطالما العقول متفاوتة فالمعقولات متفاوتة.

جعلنا الله وإياكم من المتحابين فيه، وإلى لقاء في المقال القادم إن شاء الله، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

دراسات قرآنية

بحث في «المراد بضرب الأمثال»

إعداد مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فهذا بحث في المراد بضرب الأمثال في القرآن، ومناسبته أنني ذكرت في العدد السابق عن ضرب الأمثال في القرآن آية: «فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (النحل:٧٤)، وكذلك الآيات التي تأتي بعد في سورة النحل والإسراء والكهف والحج والعنكبوت والروم ويس والزخرف والتحريم، ففيها ذكر لفظ (ضرب الأمثال)، فأحببت أن أجمع كلمات حول المراد بضرب الأمثال في القرآن؛ لتتم الفائدة.

المراد بضرب الأمثال:

يستخدم لفظ «ضرب» في اللغة كثيرًا، وقد جمع أغلب تلك الاستخدامات الراغب الأصفهاني حيث قال: «الضرب إيقاع شيء على شيء، ولتصور اختلاف الضرب خولف بين تفاسيرها: كضرب الشيء باليد والعصا والسيف، ونحوها، وضرب الأرض بالمطر، وضرب الدراهم.. والضرب في الأرض الذهاب فيها وهو ضربها بالأرجل.. وضرب الفحل الناقة تشبيها بالضرب بالمطرقة كقولك طرقها تشبيها بالطرق بالمطرقة، وضرب الخيمة بضرب أوتادها بالمطرقة.. وضرب اللبن بعضه على بعض بالخلط، وضرب المثل هو من ضرب الدراهم وهو ذكر شيء أثره يظهر في غيره». (المفردات في غريب القرآن ص٢٦٤، ٢٩٥).

وضرب المثل يرجع إلى أربعة معان رئيسة، وهي:

أولاً: نصب المثال وإظهاره للمخاطبين لتستدل عليه خواطرهم كما تستدل على الشيء المنصوب نواظرهم. (الأمثال العربية لقطامش ص١٢).

وهو مأخوذ من ضرب الخيمة، أي: نصبها.

وهذا المعنى هو الألصق بالأمثال الأنموذجية، والشواهد والحجج المنصوبة للاعتبار أو الاستدلال بها.

ثانيًا: التقدير:

قال ابن تيمية رحمه الله: «فالأصل فيهما- الذي يقاس عليه- هو المثل، والقياس هو ضرب المثل وأصله- والله أعلم- تقديره، فضرب المثل للشيء تقديره له كما أن القياس أصله تقدير الشيء». (دقائق التفسير لابن تيمية: ١/٢٠٣).

وهذا الأصل لمعنى ضرب المثل الذي ذكره ابن تيمية رحمه الله صالح لأن يُرجع إليه ضرب الأمثال بمختلف أنواعها.

حيث يكون أصل ضرب المثل، هو تقدير المعنى، أو الحكمة والحجة والعبرة والقدرة بألفاظ المثل، أو بمعنى آخر: ضرب المثل: هو إنشاء ألفاظ المثل التي يتم بها تقدير الحكمة أو الصفة أو الحجة أو نحوها للمخاطب، أو تقدير المشابه أو الأنموذج أو الأصل الذي يتوصل المخاطب المقايسة والمقارنة والاعتبار به إلى استخلاص البرهان والعبرة ونحوها.

وقد أرجع ابن تيمية رحمه الله جميع المعاني التي استخدم فيها المثل في اللغة إلى معنى التقدير. (دقائق التفسير: ١/٢٠٣).

وهذا المعنى مأخوذ من ضرب الدراهم وهو تقديرها ،وضرب الجزية والخراج وهو تقديرهما.

ثالثًا: ضرب المثل: بمعنى قوله وإطلاقه والتمثل به في الحالات التي تشبه الحالة الأولى ، وهو ألصق بالأمثال السائرة، مأخوذ من المعنى العام للضرب وهو: إيقاع شيء على شيء، حيث يتم إيقاع المثل السائر على الحالة المناسبة للتشابه بينهما.

والمثل السائر هو الذي يشبه مضربه بمورده.

وهو مأخوذ من التمثيل أي: الإنشاد.

ويراد بمضرب المثل: الحالات والمواقف المتجددة التي يمكن أن يستعمل فيها المثل، لما بينها وبين مورد

المثل من التشابه.
ومورد المثل يراد به: الحالة التي قيل فيها ابتداءً. (الأمثال العربية لعبد المجيد قطامش ص١٤).

رابعًا: الضرب للمثل بمعنى التلقيح:

قال ابن تيمية رحمه الله: «وضرب المثل لما كان جمعًا بين علمين يطلب منهما علم ثالث كان بمنزلة ضراب الفحل الذي يتولد عنه الولد، ولهذا يقسمون الضرب إلى ناتج وعقيم كما ينقسم ضرب الفحل للأنثى إلى ناتج وعقيم». (دقائق التفسير ٢٠٤/١).

وهذا النوع مأخوذ من ضرب الفحل الناقة وهو ألصق بالأمثال القياسية التشبيهية والأنموذجية. فالأمثال القياسية- من جهة- تلقح الأفكار وتنبهها على القياس والتفكر والاعتبار.

ومن جهة أخرى يتم فيها التلقيح بين الفرع والأصل ليحصل النتيجة الموجبة وهي التي تسمى الناتج حيث يُعطي حكم الأصل للفرع، أو تكون نتيجة الاعتبار سالبة وهي العقيم التي لا يلحق بها الفرع بالأصل في الحكم لوجود مانع.

خلاصة هذا المطلب:

وخلاصة هذا المطلب أن المراد بضرب الأمثال يختلف باختلاف أنواع المثل فقد يكون المراد بضرب المثل: هو قوله والتمثل به كما في الأمثال السائرة، وقد يكون نصبه وإشخاصه أمام العقول كما في الأمثال القياسية، وقد يكون معنى الضرب يعود إلى تقدير ما فيه من المعاني والحكم والحجج، كما يراعى في معنى الضرب ما ينتج عنه من تلقيح الأفكار والخواطر وإخصابها أو لما يتولد عنه من النتائج.

اشتمال المثل على القياس:

القياس هو التقدير: يقال قاس الشيء إذا قدره، ويستعمل أيضًا في التشبيه، أي في تشبيه الشيء بالشيء، يقال هذا قياس ذاك، إذا كان بينهما تشابه، والقياس اللغوي رد الشيء إلى نظيره. فالقياس على هذا أوسع مدلولاً من التشبيه، فقد يكون القياس بأسلوب تشبيهي أو بغيره.

والقياس في الأمثال يكون بطريقتين:

أحدهما: التشبيه- كقوله تعالى: «فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ» (الأعراف:١٧٦)، وهذا النوع يقوم فيه المتكلم بإجراء القياس بتشبيه الفرع بالأصل وبيان وجه المشابهة، وغالبًا ما يوجد فيه أداة من أدوات التشبيه.

الثاني: إبراز النموذج- الذي يراد أن يحتذى به- والشاهد والحجة ليقاس عليها ويعمم حكمها لكل من تحقق فيه وصفها، كقوله تعالى: «وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ» (التحريم:١١).

وهذا النوع من الأمثال يبرز فيه الأنموذج أو الشاهد أو الحجة أو القصة ويترك للسامع تدبرها وإجراء القياس بإلحاق النظير بالحكم أو الوصف العام المدلول عليه المثل، وغالبًا ما يرد لفظ «ضرب» في أمثلة هذا النوع، نحو: «ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ» (الزمر:٢٩)، وقوله تعالى: «وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ» (يس:١٣)، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إلى هذين النوعين من الأمثال وأنهما يتضمنان نوعي القياس- قياس التمثيل وقياس الشمول- حيث قال: «وضرب الأمثال في المعاني نوعًا القياس:

أحدهما: الأمثال المعينة التي يقاس فيها الفرع بأصل معين موجود أو مقدر.

الثاني: (الأمثال الكلية) وقال: «والصواب ما عليه السلف من اللغة الموافقة لما في القرآن.. كليهما قياس وتمثيل واعتبار، وهو في قياس التمثيل ظاهر، أما قياس الشمول فلأنه قياس كل واحد من الأفراد بذلك المقياس العام الثابت في العلم والقول وهو الأصل.

فالأصل فيهما هو المثل والقياس ضرب المثل». (مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٥٥/١٤).

فقول شيخ الإسلام: «فالأصل فيهما هو المثل»: أي أن العلم المدلول عليه بألفاظ المثل المبين لأوصاف الممثل به وحكمه أو حاله هو الأصل الذي يلحق به الفرع في الحكم كما قال قبل ذلك: «فلأنه يقاس كل واحد من الأفراد بذلك المقياس العام الثابت في العلم والقول وهو الأصل».

أما قوله: «والقياس ضرب المثل» أي أن ذلك العلم المدلول عليه بألفاظ المثل ينصب ويبرز للعقول- بضربه مثلاً- ليلحق به ما يشابهه أو يندرج تحته من أفراده في الأحكام والأوصاف المعتبرة من المثل وهذا هو القياس. (الأمثال القرآنية للدكتور عبد الله الجربوع ٩٦/١).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ميراث النساء بين الحرمان والتفضيل في العطاء

الحلقة الثانية

إعداد: المستشار/ أحمد السيد علي إبراهيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

أما بعد: فقد تحدثنا في العدد الماضي عن أن الله تعالى قد قسم المواريث بين عباده بنفسه، ولم يتركها لأحد من البشر أن يقسمها، فجاء نظام المواريث على أكمل وجه، وأعد له، وأمر الله عباده بطاعته، وامتثال أمره، واجتناب نهيه، فمن عباده من أطاعه، ومنهم من أبى، ومن هؤلاء الذين يظلمون المرأة، في الميراث مما يستلزم بيان الحكم الشرعي فيه، وهو ما سنكمل الحديث حوله في هذا العدد:

خامسا: حرمان النساء من الميراث:

وبعد أن قسم الله- بنفسه- المواريث على أصحابها، رغّب المسلمين في طاعته بالوقوف عند حدوده، ووعد المطيعين بدخول جنته، ونهاهم عن معصيته، وتعدى حدوده التي بينها في آيات المواريث، وتوعد العاصين بالنار، والعذاب المهين، فقال تعالى: « تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ » (النساء: ١٣- ١٤)، وبالرغم من هذا الوعيد الشديد للعاصين، إلا أن كثيرا من الناس الآن قد تغافلوا عنه، وحرموا النساء من ميراثهم مستندين إلى أسباب أوهى من بيت العنكبوت، وهي:

أ- طمع الأقارب في ميراث المرأة.

ب- التأخر في تقسيم التركة.

ج- التقاليد والعادات القبلية الجاهلية.

د- اعتقاد البعض ان المرأة لا تحسن التصرف في مالها.

هـ- دعوى ضياع أموال الأسرة.

أقسام حرمان النساء من الارث:

وحرمان النساء من الارث، قد يرجع لأمور مختلفة، فقد يكون مرده إلى الشرع فيقرر حرمانها منه لوجود المانع، وقد تحرم المرأة من الميراث استنادا إلى فتوى خاطئة أدت إلى حرمانها، وقد يكون الحرمان مبنيا على اتباع الهوى، وذلك على التفصيل الآتي:

أ- الحرمان المبني على نصوص الشرع:

فقد حرم الشرع بعض من وجد فيه موانع الارث، من الرجال والنساء، ونحن هنا بصدد الحديث عمن حرمهن الشرع من النساء من الارث لوجود المانع كالتالي:

أولا القتل: فمن قتلت مورثها لا ترث منه شيئاً، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس للقاتل شيءٌ، وإنْ لم يكن لَهُ وارثٌ، فوارثُهُ أقربُ النَّاسِ إليه، ولا يرثُ القاتلُ شيئًا» (رواه أبو داود وحسنه الألباني)، ولكونها استعجلت الارث قبل أوانه فعوقبت بحرمانها منه، لقاعدة: «من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه»، ولأنها تعاقب بنقيض قصدها.

ثانياً: اختلاف الدين بين المورث والمرأة الوارثة:

ومعناه: أن يكون المورِّث (الميت) على دين، والوارث على دين آخر، فاختلاف الدين بين الشخصين يمنع من توارث بعضهم من بعض، واختلاف الدين بين الشخصين له عدة صور منها:

١- أن يكون الميت مسلماً، والوارث كافراً: وفي هذه الحال لا يرث الكافر من قريبه المسلم- بلا خلاف بين العلماء في الجملة- لما رواه أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يرث المسلمُ الكافرَ، ولا يرث الكافرُ المسلمَ» (رواه البخاري ومسلم).

٢- أن يكون الميت كافراً والوارث مسلماً: وفي هذه الحال لا يرث المسلم قريبه الكافر في قول جمهور أهل العلم بدليل الحديث السابق. فمن أسلمت لا ترث من

أقاربها غير المسلمين، ولا يرثون منها شيئا.

٣- أن يكون الميت كافراً من ملة والـوارث كافراً من ملة أخرى: فلا توارث بينهما (لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَتوارثُ أهْلُ ملَّتينِ شتَّى» (رواه أبو داود وحسنه الألباني)

وتوجد اختلافات فقهية في تحديد الملة فمنهم من قال الكفر كله ملة واحدة، ومنهم من قال الملل ثلاث، اليهودية ملة والنصرانية ملة وما سواهما من ملل الكفر ملة واحدة.

الرق: وقد جفف الإسلام منابع الرق، فلم يتبق منه شيء الآن.

ب- الحرمان المبنى على الخطأ في الفتوى:

وقد تحرم المرأة من الإرث نتيجة فتوى خاطئة، كما حدث من أبي موسى الأشعري، فعن هزيل بن شرحبيل قال: «سُئل أبو موسى عن ابنة وابنة ابن وأخت، فقال: للابنة النصفُ، وللأخت النصفُ، وائت ابن مسعود فسيُتابِعُني. فسُئل ابن مسعود وأُخْبِرَ بقولِ أبي موسى فقال: لقد ضَلَلْتُ إذًا وما أنا من المُهْتَدين، أقضي فيها بما قضى النبيُّ صلى الله عليه وسلم: للابنة النصفُ، ولابنة الابن السُدُسُ تكملةَ الثُلُثَيْنِ وما بَقِيَ فللأخت، فأتينا أبا موسى فأخبَرْناه بقول ابن مسعود، فقال: لا تسألوني ما دامَ هذا الحَبْرُ فيكم.» (رواه البخاري) فقد أفتى أبو موسى فتوى خاطئة ترتب عليها حرمان ابنة الابن من نصيبها في الإرث، وهو السدس، وجعله للأخت، ألا فليتق الله من يتجرأ على الفتوى، ويسأل إذ لم يعلم، ويحيل الأمر على المتخصصين.

ج- الحرمان المبني على اتباع الهوى:

وقد يكون حرمان المرأة من الإرث نابعًا من اتباع الهوى: مصداقًا لقوله تعالى: «أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» (الجاثية: ٢٣)، ولاتباع الهوى بعض الصور المشهورة في هذا العصر، ومنها:

الصورة الأولى: اشتراط الزوجين تنازل كل منهما عن إرثه:

هناك من الناس من يريد الزواج الثاني، ولا يريد إشراك غير أسرته الأولى في الميراث، حتى لا تفاجأ بالزواج بعد وفاته حال كون الزواج الثاني لا تعلم به الأسرة الأولى، أو حتى لا يكون مانعًا من الموافقة عليه من الأسرة الأولى إن كانوا على علم به.

الصورة الثانية: التنازل عن الإرث قبل قبضه:

قد تعتاد بعض المجتمعات تعنيف المرأة وتوبيخها إذا أخذت حقها في الميراث مما يجعل النساء يتنازلن عن ميراثهن ابتداءً لعلمهن بما يترتب على أخذ حقهن من اللوم، واعتبارهن خارجات عن التقليد الجاهلي المتبع في المجتمع. وهذا التنازل لا يجوز، ولا عبرة به، ولا يصير به مال المرأة المتنازلة حلالاً لأنه تنازل عن غير طيب نفس، وقد قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِالْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ» (النساء: ٢٩)، وعنْ حَنيفَةَ الرَّقَاشيِّ رَضِيَ اللهِ عَنْهُ، أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِم إلاَّ بطيب نَفْسٍ منْهُ» (رواه أحمد وصححه الألباني).

إذا تقرر هذا فإن تنازل الوارث- ذكراً كان أو أنثى- عن ميراثه جائزٌ شرعاً بالشروط والضوابط التالية:

أولاً: يصح التنازل عن الميراث بعد موت المورِّث فقط: وليس حال حياته، أي بعد استحقاق الميراث لا قبله. ومعنى الاستحقاق أن يثبت الحقّ ويجب، وثبوت الميراث للوارث لا يكون إلا بعد موت المورث. وبناءً على ذلك لو تنازل بعض الورثة عن ميراثهم قبل وفاة المورث، فالتنازل باطلٌ لا يصح.

ثانياً: يشترط فيمن يتنازل عن ميراثه أن يكون بالغاً عاقلاً رشيداً: فلا يصح التنازل من الصغير- من هو دون البلوغ-ولا من المجنون أو المعتوه، لأن التنازل عن الميراث قد يعود بالضرر عن المتنازل، فلا بد أن يكون راشداً.

ثالثاً: يجب أن يكون التنازل عن الميراث بإرادة المتنازل وبدون إكراه: فلا يصح تنازل المكرَه، وفي معنى الإكراه تعنيفُ المرأة المطالبة بميراثها وتوبيخها، واعتبارها خارجةً عن تقاليد العائلة أو القبيلة. فإن حصل التنازل في حالة الإكراه والتعنيف، فهذا التنازل لا عبرة به ولا يصير به مال المرأة المتنازلة حلالاً، لأن التنازل وقع بدون رضاً ولا طيب نفس، وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحل للرجل أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفسه، وذلك لشدة ما حرَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مال المسلم على

المسلم» (رواه أحمد وصححه الألباني).

رابعاً: أن يكون التنازل صريحاً لا حياءً: لأن ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام، فلا يجوز للمسلم أن يأخذ مال غيره بالحياء.

خامساً: يشترط أن يكون التنازل في حال الصحة: لا في حال مرض الموت، لأن تصرفات المريض مرض الموت لها أحكامٌ خاصةٌ، ومرض الموت هو: المرض المخوف الذي يتّصل بالموت، ولو لم يكن الموت بسببه، وهذا مذهب جمهور الفقهاء، قال ابن المنذر: «أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم أن حكم الهبات في المرض الذي يموت فيه الواهب: حكم الوصايا» ا.هـ.

سادساً: إذا كان الميراث المتنازَل عنه عقاراً، فلا يصح التنازل عنه إلا بقبضه: وقبض العقار يكون بالتخلية والتمكين من التصرف فيه باتفاق الفقهاء، لأن التنازل عن الميراث يُعدُّ هبةً، والهبة لا تلزم إلا بالقبض، وإن كان عقاراً فقبضه بالتخلية بينه وبين المشتري، بلا حائل دونه، وتمكينه من التصرف فيه، بتسليمه المفتاح إن وجد، بشرط أن يفرغه من متاع غير المشتري عند الشافعية، واعتبر الحنفية التخلية- وهي: رفع الموانع والتمكين من القبض- قبضاً حكماً على ظاهر الرواية، وروى أبو الخطاب مثل ذلك عن أحمد وشرط مع التخلية التمييز. (الموسوعة الفقهية الكويتية).

إذا تحققت شروط التنازل عن الميراث، فلا يجوز الرجوع فيه لأنه هبة، والهبة لا يجوز الرجوع فيها بعد القبض، ويدل على حرمة رجوع الواهب في هبته لحديث ابن عباس رضي الله عنهما. (رواه البخاري ومسلم) وعنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس لنا مَثَل السَّوْء، الذي يعود في هبته كالكلب يرجع في قيئه» (رواه البخاري). قال الإمام البخاري في صحيحه: «باب لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته»، وقال الإمام النووي: «باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة بعد القبض إلا ما وهبه لولده، وإن سفل» واستثني الوالد من الحكم السابق، فيجوز للوالد الرجوع فيما وهبه لولده، كما هو مذهب جمهور الفقهاء، لما صح في الحديث عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحل للرجل أن يعطي عطيةً أو يهب هبةً فيرجع فيها، إلا الوالد فيما يعطي ولده، ومثل الذي يعطي العطية ثم يرجع فيها كمثل الكلب، يأكل فإذا شبع قاء، ثم عاد في قيئه» (رواه أصحاب السنن وأحمد، وقال الترمذي حسن صحيح وصححه العلامة الألباني).

قال الحافظ في الفتح: «وحجة الجمهور في استثناء الأب أن الولد وماله لأبيه، فليس في الحقيقة رجوعاً، وعلى تقدير كونه رجوعاً، فربما اقتضته مصلحة التأديب ونحو ذلك». وقد ألحق أكثر الفقهاء الأمَّ بالأب في جواز الرجوع في الهبة. قال الشيخ ابنُ قدامة المقدسي: «وظاهر كلام الخرقي أن الأم كالأب في الرجوع في الهبة، لأن قوله " وإذا فاضل بين أولاده " يتناول كل والد. ثم قال في سياقه " أمر برده "فيدخل فيه الأم، وهذا مذهب الشافعي، لأنها داخلة في قوله «إلا الوالد فيما يعطي ولده» ولأنها لما دخلت في قول النبي صلى الله عليه وسلم «سووا بين أولادكم» ينبغي أن يتمكن من التسوية والرجوع في الهبة، طريق في التسوية، وربما تعين طريقاً فيها إذا لم يمكن إعطاء الآخر مثل عطية الأول، ولأنها لما دخلت في المعنى في حديث بشير بن سعد، فينبغي أن تدخل في جميع مدلوله لقوله (فاردده) وقوله (فارجعه)، ولأنها لما ساوت الأب في تحريم تفضيل بعض ولدها ينبغي أن تساويه في التمكن من الرجوع فيما فضله به تخليصاً لها من الإثم وإزالة للتفضيل المحرم كالأب.

والمنصوص عن أحمد أنه ليس لها الرجوع، قال الأثرم: قلت لأبي عبد الله الرجوع للمرأة فيما أعطته ولدها كالرجل؟ قال ليس هي عندي في هذا كالرجل لأن للأب أن يأخذ من مال ولده والأم لا تأخذ وذكر حديث عائشة: «أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه» أي كأنه الرجل، قال أصحابنا: والحديث حجة لنا، فإنه خص الوالد وهو بإطلاقه إنما يتناول الأب دون الأم، والفرق بينهما أن للأب ولاية على ولده ويحوز جميع المال في الميراث والأم بخلافه، وقال مالك للأم الرجوع في هبة ولدها ما كان أبوه حياً فإن كان ميتاً فلا رجوع لها، لأنها هبة ليتيم، وهبة اليتيم لازمة كصدقة التطوع، ومن مذهبه أنه لا يرجع في صدقة التطوع» اهـ. (يراجع المغني لابن قدامة)

وللحديث بقية إن شاء الله.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

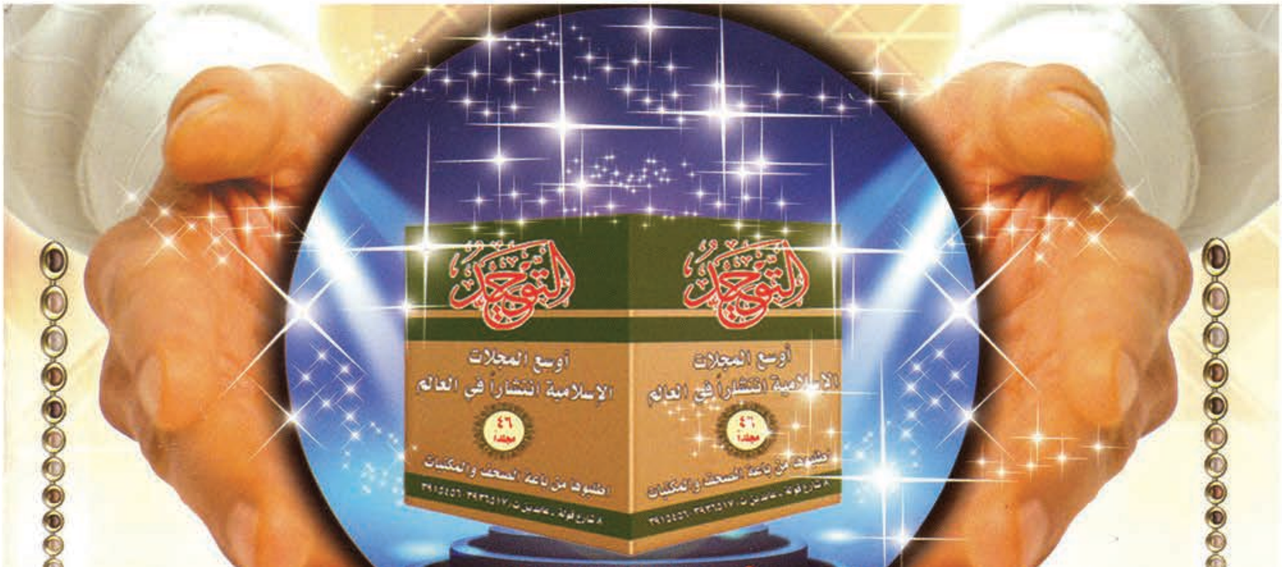
ومن أهدافها

١ الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب، وإلى حب الله تعالى حبًّا صحيحًا صادقًا، يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم حبًّا صحيحًا صادقًا، يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

٢ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين: القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

٣ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخُلُقًا.

٤ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرِّع غيره - فيما لم يأذن به الله تعالى - معتدٍ عليه سبحانه، منازِع إياه في حقوقه.



ثمن الكرتونة

١٠٥٠ جنيه

مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. يحتاجها الجميع

المكتبة الإسلامية

المكتبة العامة

مكتبتك الخاصة

الأسـرة المسلـمة

لا يستغني عنها بيت مسلم

- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم من مجلة التوحيد
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية داخل مجلدات التوحيد
- كتابات وأبحاث وإنتاج فكري لمشايخ وعلماء ودعاة من مصر والعالم الإسلامي

للاستفسار.. يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد
23936517